

الأخبار الطبية

تأليف

روبرت بويد

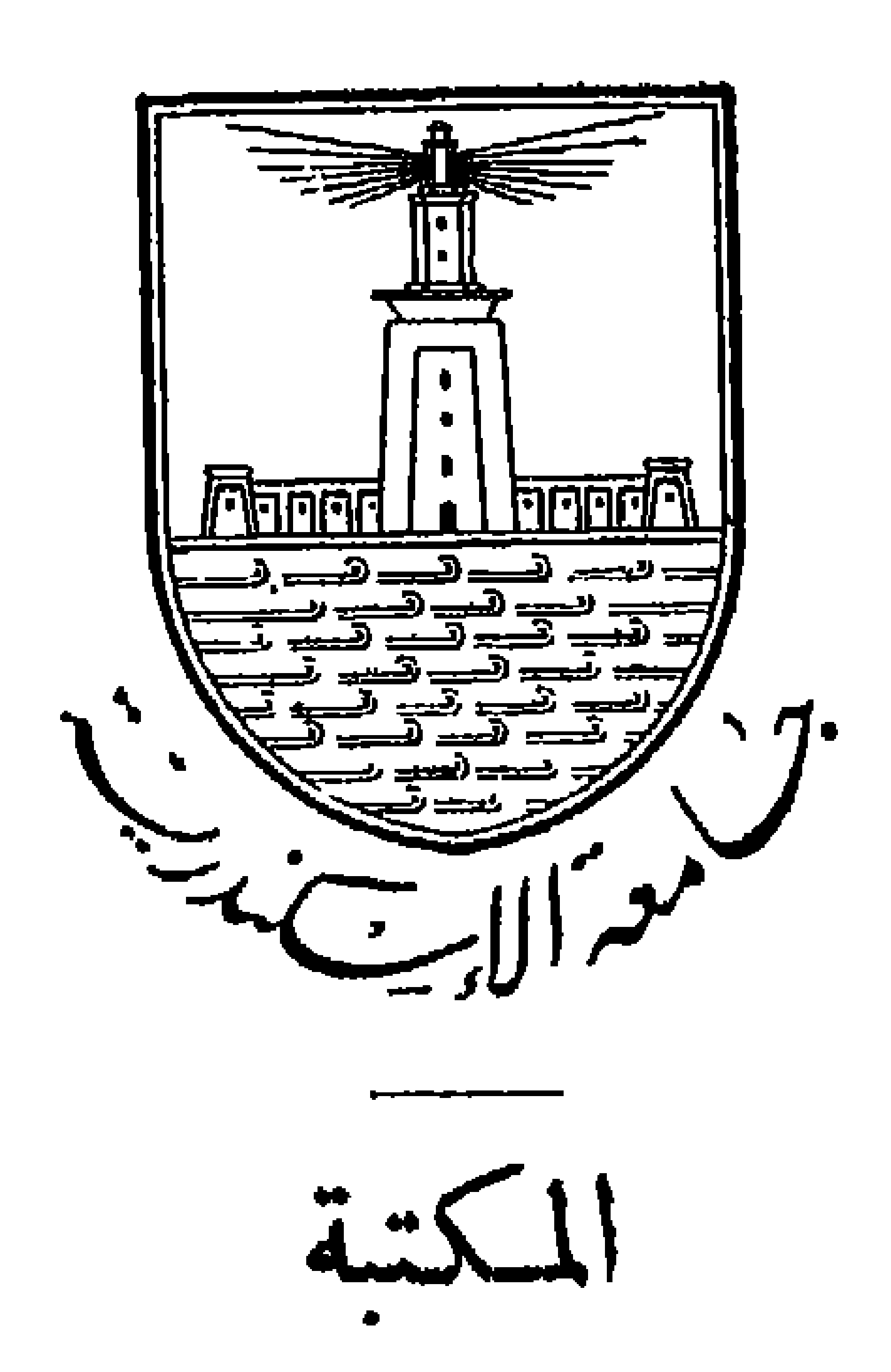
تعريب

دكتور نبيه فريز

مايو ١٩٦٤



خلاص النفوس للنشر


جامعة الاسكندرية
المكتبة

الأخبار الطيبة

تأليف

روبرت بويد

تعريب

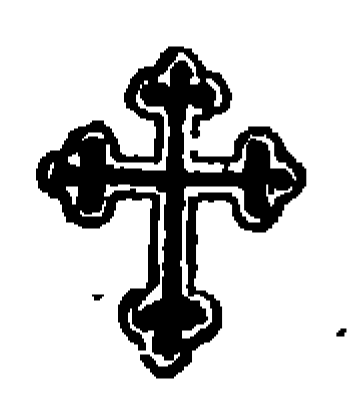
دكتور نبيه فريز

مايو ١٩٦٤

يطلب من

لجنة خلاص النفوس للنشر

١٢ شارع قطة شبرا مصر



باسم الآب والابن والروح القدس

إله واحد . آمين .

مطبعة النيل المسيحية

الفصل الأول

الخبر الطيب

« فبشره بيسوع » (أعمال ١٨ : ٣٥)

كثيرون يخطئون فهم معنى كلمة « البشارة » أو « الخبر السار » لذلك فهم يعتقدون أن كل ما يقال فى المواعظ من كلمة الله هو البشارة أو التبشير سواء أكان الخادم يعظ عن وجود الله أو خلود النفس أو كان يتحدث حتى عن الواجبات الادبية التى تتطلبها الارتباطات الاجتماعية بين الناس .

منذ وقت استمعت إلى رسالة عن الصلاة من أحد الخدام ، وقد كانت الخدمة قوية رفعت نفوسنا إلى الله وشوقتنا إلى الصلاة وجعلت الكثيرين يقولون بشوق « جيد أن نكون ههنا » (مر ٩ : ٥) . ومع أننى سمعت أحدهم يقول لزميله عن تلك الخدمة أنها كانت خدمة تبشيرية جميلة إلا أننى لم أقتنع بهذا الكلام لأن الخدمة فى الواقع لم تتضمن كلمة تبشيرية واحدة .

قد يعظ شخص ما سنين طويلة ويعظ أيضاً عن الحق الالهى ولكنه فى نفس الوقت لا يكون وعظه تبشيرياً .

سمع مرة الواعظ المشهور أندرو فولر أحد الأخوة الشبان يعظ عظة قوية وموفقة ، وكان وعظه علمياً بليغاً إلى حد كبير ، وبعد أن نزل الواعظ من على

المنبر ربت فولر على كتفه وقال له « أشكرك على هذه الخـــدمة الموفقة فى الأغراض التى أردت أن تظهرها من جهة العلم والبلاغة » فاندهش الشاب وقال له « ماذا تقصد يامستر فولر بهذه العبارة ؟» فأجاب فولر قائلاً : «أقصد أنها عظة جميلة لـكن يسوع لم يكن فيها على الإطلاق » . أطرق الخـادم برأسه الى الأرض ثم قال « لـكن يسوع لم يكن فى آية الموضوع فـكيف أدخله فى العظة ؟» عندئذ قال فولر : « لايوجـد يا أخى طريق أو شارع أو حارة فى هذه المدينة إلا وتقود إلى قصر الملك ! » نعم كل طرق الحق الإلهى ودروبه المختلفة تقودنا الى يسوع وقد كانت عظة ذلك الشاب فقــيرة من هذه الناحية لانها لم تتحدث عن البشارة التى تقود النفس المتحيرة الى الغفران والسلام .

ما أعظم تعبير أحد المؤمنين إذ يقول « لو كانت السماوات منبرى و كل المفديين سامعى والابدية بطولها يومى فلا بد أن يكون يسوع وحـده آية موضوعى ومحور كلامى »

إن البشارة معناها الخبر الطيب أو الخبر السار . أنها رسالة الغفران من رب السماء الى الخليقة التى أجرمت فى حقه على الارض على أساس عمـل المسيح . إنها قبول الله للبشر لاجل خاطر عمل الفادى كما لو كانوا لم يخطئوا قط . لقد جاءت البشارة لترسم أمامنا الطريق الذى نقدر أن نأتى به الى الله وهى تحمل لنا صوت الآب السماوى وهو يشير الى الابن المبـارك « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » (مت ٣:١٧) . ومن خلال هذا الصوت نقدر أن نفهم طريق الله لخلاص البشر . إن الآب السماوى لا يقول « الذى

لاجل خاطره سررت » بل « الذى به سررت » ، ومن خلال هذا الصوت يبشر الآب بنفسه البشر أجمعين كما بشر أولئك الذين كانوا على ضفاف الاردن وهم يستمعون فى خوف ورهبة الى الصوت ، ومن هناك انتشرت البشرى الى أقصى الارض .

بدون المسيح

إذا اقتربنا الى الآب بدون المسيح نجده ناراً آكلة ، نجده إلهاً غاضباً يطالب بالقصاص للجنس البشرى . لو أن أقدس شخص عاش على أرضنا تقدم الى الآب بأفضل أعمـــاله وبدون المسيح فلا شك أن نصيبه سيكون الرفض ، لانه بدون المسيح لا يسر به الله بل تعتبر أقدس أعماله قذارة أمامه .

وبالعكس إذا جاء أشر الخطاة الى الله الآب فى شخص المسيح و بالرغم من شروره الماضية سوف يجد قلباً مرحباً وابتسامة راضية ، ويمكنه أن يرفع وجهه فى محضر الآب ويخاطبه بهذه العبارة « يا أبا الآب » ، هذه حقيقـة ينبغى أن ندركها جيداً وهى أن الله العادل القدوس لا يرضى على الانسان المذنب ولـكنه يقبله فى استحقاق الابن المبارك .

سأل أحدهم مرة : كيف أعرف أن المسيح مات لاجلى ؟

فأجابه آخر : هل تعترف أنك عشت حياتك خاطئاً ؟

فأجاب : نعم .

قال له ثانية : وهل تؤمن أن الخطية تستحق غضب الله على الخاطىء؟

أجاب . نعم ، أومن بذلك .

فسأله للمرة الثالثة : لماذا إذن أنت الذى قضيت حياتك فى الخطية ، ومستحق لغضب الله ، تحصل على بركات من بين يدى الله ؟ فأدرك هذا الشخص أن معاملة الله الصالحة له وسماحه له بأن يحيا ، كل هذا لم يأت اليه إلا عن طريق موت المسيح لاجله .

احتمال من اثنين

افترض أيها القارىء أن صديقاً زارك اليوم فى بيتك وحمل اليك أخباراً طيبة ، وافترض أيضاً أنه بعد أن حدثك عما لديه من أخبار لم يقدر أن يزيد من سعادتك وفرحك ، فليس هناك إلا احتمال من اثنين : إما أن يكون الخبر نفسه لا يجلب السعادة والسرور وأن صديقك أخطأ فى تقديره عندما ظن أن ذلك الخبر يحمل لك معه فرحاً ، وإما أنك لم تشعر بالسعادة لأنك لم تصدق هذا الخبر السار .

وهكذا الحال معنا لانه إن لم تسعدنا البشارة فاما أن يكون الله غير محق فى تقديره من جهة بشارته لنا ، وهذا أمر غير ممكن طبعاً ، واما أن نكون نحن غير مؤمنين بالبشارة ، وهذا هو الاحتمال الحقيقى المقبول . إن السبب الوحيد الذى يحرمك من بهجة البشارة والتهلل بخبر محبة الله الغافرة لك هو أنك لا تقبل شهادة الله التى شهد بها عن ابنه . هذا فى الوقت الذى تصدق فيه زملاءك عندما يحملون اليك خبراً ما ، وتصدق ما تحمله الجرائد السيارة من أخبار ولا سيما ما يتعلق بك فتسرع بقراءتها بوجه مشرق بالامل ، ومع ذلك لا تصدق كتابك المقدس الذى يحمل لك الأخبار المباركة التى قصد بها إسعادك وراحتك فتلقى به جانباً ولا تهتم به .

أمر صعب

قد يبدو أمراً غاية فى الصعوبة أن تجعل الناس يؤمنون بأن خلاصهم قد تم وانتهى تماماً، ومع أنهم قد يقبلون بعض الحقائق الخاصة مثل عطية الله العظمى والثمينة، والسلام الذى يقدر الرب أن يمنحهم إياه، وضرورة المصالحة مع الله، لكن عندما تحدثهم عن الخلاص الذى تم، أو عن علاج الله الكامل لمرض الخطية، وأنه لم يعد هناك أمر ليعملوه لان كل شيء قد تم، حينئذ ينظرون اليك كأنك تهذى، حتى العقلاء المستنيرين يفكرون كثيراً فى بعض الامور التى تؤهلهم للمجىء الى المسيح وقد نسوا أنه ما لم يأتوا الى الرب بالإيمان فانهم لا يتقدمون ولا خطوة واحدة فى طريق الخلاص والحياة الجديدة .

البر الذاتى هو الخطية الشائعة

لا شك أن السبب الذى يدفع الانسان للتفكير فيما يجب أن يعمله والذى يجعله لا يقنع بعمل المسيح الكامل على الصليب هو البر الذاتى. وهو الخطية الشائعة بين البشر فى صورة أو أخرى، فحيثما يوجد الانسان تسيطر هذه الخطية على قلبه غير المجدد وبمجرد أن يفكر فى أمر الخلاص تظهر هذه الخطية معترضة على تدبير الله للخلاص، وبالرغم من أضواء كلمة الله ومناظر الصليب التى تنادى بكفاية دم المسيح تجده يظن أن قبوله أمام الله هو على أساس صلواته الحارة ومشاعره الطيبة أو بسبب بعض الأعمال الصالحة التى أداها .

ولو كان الله يقبل البشر على أساس طاعتهم وهم ما زالوا فى شرهم وبعدهم أعنى عن طريق إتمامهم لبعض الأمور التى يظنون أنها تقربهم إلى الله ، يكون قد بين أن ناموسه غير كامل وبذلك تفقد شريعته قوتها فى الخليقة العاقلة وتأثيرها على البشر .

لو كان الله يقبل الخاطى على أساس بره الذاتى فكأنه يعلن أن موت ابنه لم يكن تدبيراً حكيماً ولازماً ، وأن الدم المسفوك قد أهرق باطلاً ، وأن آلام المخلص كانت ضرباً من ضروب الغباء والجنون .

إن حقيقة لزوم موت ابن الله تعلن لنا أنه لا بد من بر كامل لحل مشكلة الإنسان وقبوله أمام الله ، بر لا يوجد به عيب فى عين الله ، هذا البر هو البر الالهى الذى يمكننا أن نحصل عليه فى المسيح المصلوب بالايمان .

أيها الخاطى أترك محاولاتك اليائسة الفاشلة لإيجاد كساء لنفسك العارية عن طريق ورق التين من أعمال برك الباطلة ، ثم تعال لأن لك فى اسم إلهنا العظيم المعلن فى البشارة براً كاملاً « بر الله بالايمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون » (رو ٣:٢٢) .

مجرد الايمان البسيط

إذن أيها القارىء العزيز إن أردت أن تتمتع بالخلاص وتصبح مقبولاً أمام الله فليكن ذلك عن طريق الإيمان البسيط بعمل المسيح .

نحن نعلم أن الانسان الطبيعى يكره هذا التعليم ويعارضه لأنه يطرح الكبرياء إلى التراب ... ولا يترك فى النفس مجالاً للافتخار فيما بعد .

قارن بين أقدس إنسان وأشر انسان يسكنان على وجه الأرض ثم تأكد بعد هذه المقارنة أن السبب فيما تراه من فارق كبير يرجع الى أمر غاية فى البساطة وهو الايمان بيسوع المسيح .

لنفرض أننا كنا فى مدينة فيلبي فى تلك الليلة التى تجدد فيها السجان . الظلام حالك لأنها الساعة الثانية عشر مساء والمدينة كلها يسودها السكون والهدوء . نحن الآن أمام المبنى الحزين . دعنا ننظر اليه من خلال الظلام لنتأكد أنه مبنى سجن المدينة الكبير .

آه ماذا حدث ! إن المبنى يتحرك إلى الأمام والى الخلف كما لو كان تحت تأثير زلزال عنيف . اصغ ! انه صوت شخص متألم يمزق سكون الليل ، إنه صوت حافظ السجن معبراً عن خوفه ورعبه لما انفتحت أبواب السجن ، وفجأة وللمرة الثانية نسمعه وهو يسأل الرسولين « ماذا ينبغى أن أفعل لكى أخلص ؟ » (اع ١٦: ٣٠) .

ترى ما هو الطريق الذى رسمه له الرسولان للخلاص ؟ هل قالا له أنه يجب أن يصلى ، أو يجب أن يشعر بتبكيت أعمق على حالته فى خطاياه ؟ هل طلبا منه أن يفعل شيئاً يرشحه للمجيء ليسوع ؟ اننا لا نجد مثل هذه التوجيهات من هذين الرجلين الممتلئين من الروح القدس بل قالا له « آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص » (اع ١٦: ٣١) .

إننا نحتاج اليوم إلى مبشرين من عينة هذين الرسولين أكثر من حاجتنا إلى خدام متعلمين ولا يدركون أهمية الإيمان بالمسيح للخلاص والتجديد .

حث أحد الخدام شخصاً ما للتقدم إلى سر التناول ولكن ذلك الشخص أجاب مندهشاً : كيف أقدر أن أشترك فى العشاء الربانى مع أنه لا رجاء لى فى المسيح ؟ . فرد عليه الخادم : تعال واشترك وسوف تشعر فيما بعد أنك أفضل ! يا للأسف كان من اللازم أن يقول له أولاً آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص بدلاً من أن يوجهه هذا التوجيه الخاطىء .

وماذا فعل السجان ؟ هل اعترض مثلاً بقوله : هذا أمر فى غاية السهولة وليس معقولاً أن رجلاً شريراً مثلى يخلص بهذه الوسيلة السهلة ؟ . كلا لكنه آمن فى الحال فامتلأ قلبه سروراً .

قال أحدهم : لا بد أن نخطو ثلاث خطوات حتى نصل بالفعل الى السماء:

أولا : أن نخرج عن الذات .

ثانياً : أن ندخل فى المسيح بالايمان

ثالثاً : ثم ندخل الى المجد .

فاذا كنت خارج المسيح أنت تحت دينونة الله رغم آدابك وسلوكك الطيب ، وأنت تعيش تحت لعنة الناموس وسيف عدالة الله لا بد أن يقتص منك فى أى لحظة ، ولا يوجد لك ملجأ للنجاة إلا ملجأ واحد وهو صليب المسيح .

فاسرع الى هناك .

الفصل الثانى

عمانوئيل : الله معنا

« الذى رآنى فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩)

لا توجـد كلمات أروع ولا أعظم من كلمات الرب يسوع التى تلهب القلب كما بنار .

إن كل كلام الحكمة الانسانية المقنع وكل بلاغة بشرية لا تقدر مهما سمت أن تصل إلى كلام الفادى « لم يتكلم قط إنسان هكذا » (يو٧:٤٦). ولما تحدث الينا يسوع أعلن لنا هذه الحقيقة المباركة وهى أنه بتجسده أعلن لنا الآب وكشف لنا عن قلبه المحب إذ صار هو عمانوئيـل الذى تفسيره الله معنا .

ضرورة التجسد

إننا نعرف شيئاً عن الله من عمـل يديه ، وعندما نرسل البصر الى الصخور المرتفعة الشامخة والى الجبال العالية التى تخترق السحب وعندما ننظر إلى المحيط المتسع ينتابنا شعور بالرهبة فنصرخ « ما أعظم الرب ! » ولكن الطبيعة بكل مجدها واتساعها لا تقدر أن تحدثنا بكلمة واحدة عن الامر الذى نحتاج اليه كخطاة وهو الغفران، ولا توجد همسة واحدة من همسات الغفران

يمكن أن تأتى الينا عن طريق السماء الزرقاء فوقنا ولا بواسطة أى عمل آخر من أعمال الله التى حولنا ، بل بالعكس إن فكرة عظمة الله تملأ قلوبنا خوفاً باعتباره الجوهر العظيم اللانهائى ، الذى لا نقدر أن ندركه . كما أن فكرة وقوفنا فى محضره يوماً من الايام تجعلنا ننفر منه بدلاً من أن تجذبنا اليه « كل من تذكرها يرتعب » (اش ١٩ : ١٧) . أما عندما يقترب الينا الله فى جسم بشرى ، عندما يدنو الىّ كابن الانسان، وعندما أسمعه يتحدث الىّ من شفاه بشرية، وعندما أراه ينظر الىّ من عينين تذرفان الدموع على بؤسى وشقائى وعندما يتأوه لأجلى بعواطف بشرية ويحدثنى عن المحبة والغفران ، بهذا فقط تزول مخاوفى ، وعندما أقبله فى داخل القلب فلا شك أنه يمتعنى بالغفران .

هذا هو سر التجسد وهنا تتجلى حكمة الله الذى ظهر فى الجسد .

سر الرهبة من الله

لماذا يرتعب الخاطىء من الله ويحاول جاهداً أن يبعد عن عقله كل فكرة عن إلهه كما لو كان التفكير فيه والحديث عنه سر كآبته وحزنه ؟ لماذا ترعبه فكرة الوجود فى محضر الله والاقتراب منه بالموت الجسدى ؟ !

لايمكن أن يكون السبب من جانب الله لان اليدين اللتين تخاف منهما هما اللتان خلقتاه ولا زالتا تلقيان المراحم فى طريقه ، وهما أيضاً اللتان تلوحان

اليه بالاقتراب . إن الصوت الذى يخشى سماعه هو نغمة الحب ونداء الحنان والصفح الذى يناديه قائلاً أرجع .. لماذا تموت ؟

لماذا إذن الخوف الشديد ؟ . ولماذا الهروب من الله ؟ ولماذا العداوة ؟ إن السبب كامن فى مخادع النفس . السبب هو الاثم والشعور بالذنب لان الخطية تولد فى نفس الخاطى الشعور بأنه إذا أتى إلى الله فانه يأتى الى إله غاضب يريد أن ينقض عليه ليهلكه .

إذا دخلت منزل أحد الاصدقاء ووجدت أولاده يلعبون ويمرحون والبشاشة على محياهم ولا توجد فى وجوههم أية علامة من علامات الخوف أو الكآبة تقف معجباً بهذا المنظر البرىء ، وفجأة يسمع صوت الوالد يقرع على الباب ، وفى لحظة يتغير المشهد فيلتفت الاولاد حولهم فى رعب ، والوجوه التى كانت منذ لحظة تشرق بالسرور تصبح شاحبة من الخوف والكل يسرع ليختبىء من الوالد القادم كما لو كان شخصاً مخيفاً مرعباً . وإذ تشاهد هذا المنظر يتجه فكرك الى أحد أمرين: إما أن يكون الوالد قاسياً مع أولاده ويعاملهم بالشدة ، واما أن الأولاد ارتكبوا جرماً يعرفونه أثناء غياب والدهم وهم يخشون مواجهته لئلا يعاقبهم . وهذا الامر الأخير هو بالضبط موقف الخاطىء من جهة الآب السماوى . ولا يمكن له أن يستمتع بالهه حتى يتلاشى منه هذا الشعور بالذنب ويستعيد ثقته من جديد فى محبة إلهه .

هذا الامر يبدو واضحاً فى أبوينا الاولين ، فطالما كانا يعيشان فى القداسة

كانت تغمرهما السعادة والشعور بمحبة الله . ولكن بعد أن صدقا الكذب، كذب الشيطان الذى أقنعهما أن الله أنانى لانه منع عنهما شيئاً طيباً لئلا يصيران مثله عارفين الخير والشر ، فى اللحظة التى صدقا فيها كلام الشيطان سقطا وابتدأ الفزع والخوف من الله يحل محل الثقة والمحبة والسعادة، فاللذان كانا منذ لحظات يرسلان مع النسيم أغانى الحب والسرور ، وتمتزج أناشيدهما وتسابيحهما بأناشيد السماء أصبحا الآن يهربان من صوت الله ويحاولان أن يختبئا من وجهه وسط أشجار الجنة .

لماذا أصبح آدم تعيساً مع أن شيئاً لم يتغير حوله ؟ فلا زالت الثمار جميلة ولذيذة ، ولا زالت موسيقى الطيور عذبة شجية كما كانت من قبل ؟ . والاكثر من ذلك أن آدم نفسه كان لا يزال موجوداً فى الجنة — السر هو خوفه من إلهه وخشيته من قصاص خطاياه ، صحيح أن كل شىء كان باق كما هو ، لكن النفس فى الداخل أصبحت مضطربة بسبب الخطية . وهذا دليل على أن مظاهر الجمال والسعادة الخارجية لا يمكنها أن تدخل السرور إلى نفس الانسان بينما القلب حائر لبعده عن ينبوع السرور والسعادة الحقيقية .

لكن فى عمانوئيل، الله معنا ، تتحطم افتراءات الشيطان فنرى الله، الذى كنا نتصوره ممتلئاً بالغضب، نراه يقترب منا فى جسم بشريتنا وفى مآقيه دموع الحب والحنان وعلى شفتيه دعوة للغفران .

فى عمانوئيل نرى الله الذى أحبنا ينزل من عرشه ويترك قمة مجده ويقتفى آثارنا على جبال الخطية باحثاً عنا . لم يعد الآن ضرورياً أن نتعب

أنفسنا لنجعل الله يحبنا لأنه بتجسده قد أثبت أنه ممتلئاً حباً من جهتنا . لم يعد الآن ضرورياً أن نعمل شيئاً لنجلب رضاه ولنتصالح معه لأن « الله فى المسيح قد صالح العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم » (٢ كو ٥:١٩)

وبالاختصار كما أن الإنسان ابتعد عن الله بتصديقه الكذب وعدم تصديقه الحق هكذا يجب أن يرجع اليه عن طريق تصديق الحق ، وكما فقد ثقتة فى محبة الهه بسبب الشك يجب أن يستعيد ثقته فى هذه المحبة بالإيمان من جديد .

يقول الكتاب « تعرف به واسلم » (أى ٢٢:٢١) ومعنى هذا أنه فى اللحظة التى فيها يعرف الخاطىء الله المعرفة الحقيقية كما أعلن فى الكلمة يصبح فى سلام مع الله بربنا يسوع المسيح .

لكن قد يعرف شخص ما الكثير عن الله ولكنه يظل فى عدم تعرفه به ، قد يكون لاهوتياً متعمقاً وقادراً على التحدث بلباقة عن صفات الله ولكنه روحياً يظل بعيداً عنه لم يتعرف به ، فالمقصود بالتعرف بالرب هو أن ندركه كالاله الغافر المتسامح ، وهذه المعرفة لا نقدر أن نصل اليها إلا عن طريق ابنه يسوع المسيح .

أهمية تعليم التجسد

على ضوء الملاحظات السابقة كم يبدو مهماً ذلك التعليم عن تجسد ربنا يسوع العجيب الإلهى! انتزع هذا التعليم من الكتاب المقدس وأنت تحطم زورق حياة البشرية الى قطع متناثرة وتترك الانسان بائساً محطماً على شواطىء الابدية .

إن هذه الحقيقة هى القنطرة التى يعبر عليها البشر فوق هـوة اليأس البشرى فاذا تحطمت هذه القنطرة انحدرت البشرية إلى هـوة سحيقة لا قرار لها .

بل إن إنكار هذه الحقيقة هو أعظم خطأ يرتكبه الانسان، لأنه يتسبب فى وضع نفسه تحت اللعنة ، لذلك حينما حاول البعض أن يحطموا المسيحية ابتدأوا ينادون بمذهب إنكار لاهوت المسيح . إذا منح مخلوق ما قوة لتحطيم المجموعة الشمسية فليس من الضرورى أن يحطم كل جرم على حدة ولكن يكفى أن يحطم الشمس فقط وسيجد بعد ذلك ان المجموعة الشمسية كلها تحولت إلى حطام . هكذا أولئك الذين يدعون أنهم مسيحيون إذا أخذوا من المسيحية لاهوت سيدها فانهم بذلك يحطمون المسيحية من أساسها .

ولكن شكراً لله لانهم لن يتمكنوا من ذلك .

رجاء !

أيها الخاطى ! فى دموع وآلام الإله المتأنس انتبه الى الخطر الذى تتعرض له . إن دموع يسوع التى سالت حزناً على هلاكك ، وآلامه النفسية لاجل خلاصك ، تريك هول الهلاك الذى ينتظرك . أنت الآن فى سفينة على بحيرة تتمتع بالمناظر المبهجة فى يوم من ايام الصيف الجميلة حيث لا توجد سحابة واحدة فى السماء ولا موجة على المياه ، الهدوء يكتنف البحيرة ويعكس جمالها ولمعانها على القبة الزرقاء فوقها ، وفكرة الخطر لا يمكن أن تمر بخاطرك ، ولكن بينما أنت فى تمتعاتك العذبة بالمنظر الجميل يندفع الربان على ظهر السفينة والدموع تتساقط من عينيه والاضطراب بادٍ على محياه . لاشك ان

رؤيتك للربان فى هذه الحالة يكون كافياً لإقناعك أنه لا بد من وجود خطر داهم .

هكذا وأنت غارق فى تمتعات حياتك فى بحر العالم ارفع عينيك لترى الله فى صورة انسان وهو يتضرع الى الخطاة لكى يتوبوا ، ولتتأكد أن الخطر شديد والقضاء رهيب . آه اذهب الى ربان السفينة رئيس خلاصك واصرخ اليه : خلص يارب وإلا أهلك . وستجد أن اليد التى تحمل علامة المسمار تمتد اليك لتخلصك وتعطيك مكاناً بين قديسى العلى هنا على الأرض ، وتهيء لك أيضاً مكاناً بين المفديين فى السماء .

أما إذا لم تصرخ ولم تتب ولم تخلص فاذكر أن نفس اليد القوية للخلاص هى بعينها القوية للانتقام . ان نول النساج قد يكون الآن على وشك أن ينسج آخر خيط فى كفنك وهذه الليلة قد تكون نفسك فى محضر إلهك . فهل تجرؤ أن تقف هناك بلا مسيح ؟ اذا جرؤت على ذلك فسيكون محضر الله المقدس ناراً آكلة بالنسبة لنفسك الخاطئة .

الفصـــل الثالث

سيناء والجلجثة

« الذى لا يؤمن قد دين » (يو ٣ : ١٨)

الشخص الذى لم يؤمن بالمسيح لا يأتى إلى الدينونة عند موته فقط بل هو الآن تحت الدينونة وتحت لعنة الناموس ، ولعنة الناموس هى بعينها لعنة الله .

ليذهب الخاطىء حيث يريد أن يذهب وليعمل ما يشاء أن يعمـــل ولكنه يجب أن يتأكد بأن اللعنة معلقـــة فوق رأسه . قد يهرب من التفكير فيها ، وقد يغرق نفسه فى المسرات والمباهج ، وقد يملأ وقته وعقله بالاهتمامات والمشغوليات فى العمل ، وقد يقضى وقته فى مجالات الأدب والفن فيوسع مداركه بالعلوم والمخترعات الحديثة ، ولكن مهما شغل نفسه فحكم الموت قد صدر عليه ولم يبق إلا وقت التنفيذ ، وما بين الحكم وساعة التنفيذ ترك الرب له فرصة لعله يأتى الى المسيح للغفران والنجاة .

إذا استسلم الخاطى للنوم فى المساء فاللعنة تربض حول فراشه ، وعندما يسير فى الطريق ترافقه فى مسيره كظله ، إذا أغرق فى الضحك عندما يذهب الى السرك أو السينما ، أو إذا فقد وعيه فى الخمر والمنادمة ، فى مكان الفرح أو فى مكان الحزن لا زالت اللعنة تكشر عن أنيابها فى غضب أمامه . يقول

الكتاب « ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به » (غل ٣ : ١٠).

ومعنى هذا أنك أيها القارىء العزيز إذا كنت لم تخطىء أبداً لا بالفكر ولا بالقول ولا بالعمل منذ أن أدركت الخطأ وعرفت الخير والشر حتى الآن، وأحببت الرب من كل قلبك وقريبك مثل نفسك طول مدة حياتك، حينئذ لا تكون تحت لعنة ويمكنك أن تطالب بالحياة الابدية كحق لأن الكتاب يقول « إن عملها انسان يحيا بها » (خر ٢٠ : ١١)، ولكن مع الأسف ضميرك يشهد عليك أنك لم تسلك هكذا ولم تحيا الحياة الكاملة المقدسة، إذن فأنت تحت لعنة الناموس عينها .

الشعور بالحالة

لا يقدر أحد أن يقبل الى الرب يسوع للتمتع بالبركة ما لم يشعر بأنه مثقل تحت هذه اللعنة . يجب أن يسمع صوت العدالة الرهيب آتياً من جبل سيناء يعلن دينونته قبل أن يسمع الصوت الهادىء الحنون، صوت الغفران، آتياً من الجلجثة حيث الصليب وحيث التبرير.

من المستحيل أن نجعل الشخص الذى لا يشعر بالجوع يأكل طعاماً ومن المستحيل أن يقبل شخص ما صدقه إذا كان يظن فى نفسه أنه غنى ولا حاجة له الى شىء . هكذا الحال مع النفس . فحتى تشعر بحالتها البائسة . وبضلالها لن تجد فى اسم يسوع العذب أى موسيقى ولن تجد فى الصليب أيضاً أى جاذبية .

نعم يجب أن يدرك الخاطى أن الله لا يسمح له أن يكسر ناموسه دون عقاب ، وأن الخطية هي التعدى على ناموس الله ، وهى أرهب شيء فى الوجود كله ، وأن غفران الخطية لا يمكن أن يتم إلا عن طريق آلام ابن الله الوحيد وصليبه ، وأنها اذا لم تغفر فسيتبعها حتماً هلاك أبدى .

زار أحد الأمراء الالمان قديماً سجناً من سجون فرنسا حيث يوجد كبار المجرمين . وتكريماً له سمح له أن يطلق سراح أحد المسجونين ، فأخذ الأمير يتحدث الى المسجونين واحداً بعد الآخر . سأل أحدهم عن الجريمة التي قادته الى ذلك السجن المرير فأجابه المسجون بالقول أنه برىء وأن شهود الزور هم الذين لفقوا له التهمة إذ شهدوا ضـــده . سأل مسجوناً آخر نفس السؤال وهذا بدوره أنكر جرمه بالقول أنه سجن خطأ بدلاً من شخص آخر بنفس الاسم ، وهكذا جعل الامير يسأل المسجونين نفس السؤال ولا يحظى إلا بنفس الاجابات تقريباً .

وأخيراً وصل الى مسجون تبدو عليه مسحة حزن وكآبة فأجاب على سؤال الامير بقوله : أنا انسان بائس مجرم أستحق أكثر مما أنا فيه الآن . لقد كسرت ناموس الله فضلاً على قانون البلاد ولا أستحق أن أتطلع حتى الى سماء الله الزرقاء أو أرضه الخضراء . فقال الامـــير على الفور اطلقوا هذا الرجل لان حالته الفكرية أصبحت قادرة أن تجعله يستغل حريته استغلالا حسناً .

هكذا الحال أيضاً بالنسبة لرئيس السلام فهو مستعد أن يعفو عن الخاطى متى وجده فى حالة فكرية تبرر الله وتدين نفسه .

ثم تواضــع وانكسار

بعد ذلك تتلاشى كبرياء النفس ولا يعود الخاطى ينظر إلى نفسه فى مرآة أفــكار العالم وحكمة الناس التى تقدم له صورة غـــير صحيحة عن حالته فيظن فى نفسه أنه شيء ، بل ينظر إلى حالته فى مرآة ناموس الله فـــيرى نفسه كما يراها الله فيتواضع « يرفض و ينـــدم فى الـــتراب والرماد » (أى ٤٢:٦) .

اننا نجد تصويراً واضحاً لهذه الحالة فى اختبار الرسول بولس إذ يقول: « أما أنا فـكنت بدون الناموس عائشاً قبلاً ولـكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا » (رو ٧ : ٩) ، ثم يستمر فى سرد حالته التى كان عليها فى نظر نفسه وكيف أنه كان يظن أنه يرضى الله أفضل من أى شخص من بنى جنسه ، ثم يعلل ذلك بأنه كان فى ذلك الوقت « بلا ناموس » ، وليس معنى ذلك أنه لم يكن يعرف الناموس فقد كان بلا شك يحفظ الناموس منـــذ حداثته تماماً ولـكنه كان يجهل روح ناموس الله الذى يتعامل مع القلب . كان يشير الى كل وصية من الوصـــايا ويقول مفتخراً « حفظتها منذ حداثتى » (مر ١٠:٢٠) ، وعندما ينظر الى سلوكه الخارجى كان يجد أن ذلك صحيح وحق بدون شك ، ولـكنه نسى مثلاً أن الغضب الباطـــل جريمة قتل ، وأن فـكر الحماقة خطية ، وأن الفـكر غير الطاهر هو الزنى بعينه.

أما عندما لمعت أمام عقله روحانية الناموس فى ضوء العهد الجديد ، أو على حد تعبيره « لما جاءت الوصية ، عاشت الخطية فمت أنا » (رو٧:٩)

عندئذ ظهرت أمامه خطايا خيانته كلها و بدت غير مغفورة وسوداء قاتمة تطالب أن يستقر عليه غضب الله .

عندئذ ضاع رجاؤه الباطل وتحطمت أحلامه والبناء الضخم الذى بناه على الرمل ، بناء البر الذاتى ، تحول الى حطام وظهرت الخطية أمامه «خاطئة جداً» (رو ٧ :١٣) .

وهكذا أصبح فى حالته التعسة هذه يشبه رجلاً كان يظن فى نفسه أنه غنى جداً ولديه أموال طائلة ثم وضع يده فى جيبه ليخرج بعض المال فلم يجد شيئاً، بل وأكثر من ذلك لمست يده أفعى كبيرة فى الداخل. فكم يكون يأسه وبؤسه وهو يسرع باخراج يده من جيبه .

أو يشبه شخصاً كان يظن أنه يرتدى ملابس أنيقة ونظيفة فذهب الى حفلة مرحة وعندما دخل الى مكان الحفلة وسلطت عليه الاضواء الكاشفة نظر إلى نفسه فاذا به يلبس أسمالاً بالية فكم يكون خجله واضطرابه حتى أنه يحاول أن يخفى نفسه بسرعة من المشهد .

هذه كانت حالة الرسول بولس عندما أدرك نقاوة ناموس الله ورأى نفسه فى ذات الوقت انساناً نجساً تحت لعنة الناموس . وعندما تفرغ تماماً من الذات أصبح مستحقاً لأن يملأه شخص المسيح ، وعندما زال رجاؤه الباطل جاءه الرجاء فى المسيح — الرجاء الذى لا يخزى .

نرى مما سبق أن السبب الذى لأجله يفتخر الكثيرون بأخلاقهم ويلفون أنفسهم فى رداء البر الذاتى هو أنهم يقيسون أنفسهم على مقاييس خاطئة من صنع أنفسهم ، والى أن يتركوا هذه المقاييس الزائفة و يقيسوا أنفسهم على

طهارة ناموس الله فان صليب المسيح يبدو أمامهم غباوة وجهالة والحقائق التى تملأ السماء بهجة وسروراً ترن فى آذانهم بصوت أشبه بصوت الريح لجوفاء الخاوية .

مقاييس البشر ومقاييس الله

شخص يظن أن كل ما يطلبه منه الله هو أن يحيا حياة أخلاقية كاملة وأن يعامل الناس بالأمانة وأن يكون شفوقاً محسناً مواسياً للمتألمين والمساكين وأن يكون مواطناً صالحاً يتمم الواجبات العائلية فى حياته — هذا هو المقياس الذى يقيس به نفسه لذلك يحاول أن يكون رجلاً أميناً وزوجاً صالحاً وأباً محباً محترماً للعقيدة مكرماً لرجال الله ، يذهب بانتظام الى بيت الله ويوزع بسخاء لتدعيم بشارة الانجيل ، وتكون النتيجة أنه يستريح على هذه الحالة ولا يزعجه شىء ، هذا الشخص يعيش «بلا ناموس»

مثل هذا الشخص لا يمكن أن يتجدد أو يتوب الى أن يقيس نفسه بطريقة أخرى وعلى مقياس آخر، لانه حتى لو سمع أكثر أنواع الوعظ أمانة يظن أنه ليس هو المقصود به .

منذ سنوات قابلت رجلاً من هذه العينة ، وبينما كنا نتناقش فى بعض المواضيع الدينية سألته إذا ما كان مؤمناً فبدت عليه الدهشة من هذا السؤال ولكنه أجاب فى الحال «نعم».

فسألته ثانية « منذ كم من الوقت اختبرت اختبار التجديد فى حياتك؟» فأجاب أن والديه كانا مؤمنين صالحين وانه فى طفولته اعتمد فى الكنيسة ذات

المعتقدات الصحيحة وانه باستمرار يتناول من الاسرار المقدسة . ثم قال اخيراً انه لا يفهم معنى اختبار التجديد .

فأجبته : ولو أنه امتياز كبير ان يولد الانسان من والدين تقيين إلا أن اختبار الحياة الجديدة ليس أمراً نناله بالوراثة بمعنى أنه ليس شيئاً ينتقل فى الدم . أما بخصوص انتمائه الى الكنيسة ذات المعتقد السليم فهذا أيضاً لن يخلصه لأن يهوذا الاسخريوطى كان ينتمى إلى اصح وأفضل كنيسة لأنه كان مع المسيح نفسه لكنه هلك وذهب الى جهنم . ثم قرأت له الحادثة التى جرت بين المسيح ونيقوديموس ووضحت له ضرورة تغيير قلبه .

ابتدأ الرجل يفكر باهتمام ثم قال: لم اكن افكر فى هذه الأمور ، لكنه عاد فقال ، انه يصلى ثلاث مرات يومياً و يقرأ ثلاثة فصول من الكتاب المقدس ، عندئذ بينت له نقاوة ناموس الله وانه حتى لو بدأ يجهد نفسه باكثر صعوبة من الآن حتى يوم وفاته فلن يخلص من خطاياه الماضية التى لا زالت تدينه ، ثم حاولت أن أقوده الى الصليب مشيراً إلى العمل الكامل الذى ليس فى حاجة لأن يكمله بجهوده الخاصة وصلواته ودموعه وبينت له أنه لا يوجد ما يفصله عن الغفران إلا عدم إيمانه وشجعته على أن يؤمن بالمسيح الذى مات لأجله كما لو كان هو الخاطىء الوحيد فى العالم

وأخيراً ، و بعد مجهود ليس بالقليل قبل شهادة الله فأصبح قادراً أن يقول مع بولس الرسول « الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » (غل ٢:٢٠) .

الفصل الرابع

عمل الروح

من الأمور المؤلمة للنفس جداً عدم مبالاة الخاطىء بمستقبله الأبدى . فبالرغم من معرفته أنه خاطىء ، وأنه من المؤكد ان يقف فى محضر الله القدوس بخطاياه التى تلوث نفسه، ومع ادراكه التام لقيمة نفسه الغالية ، تلك النفس التى لا تموت ابداً بل تبقى ابدياً إما فى تمتع وسعادة واما فى عذاب وتعاسة ، بالرغم من كل ذلك نراه لا يبالى .

لقد اهتم الله نفسه اهتماماً عظيماً بقضية الإنسان الخاطىء لدرجة أنه أرسل الابن المبارك فى إرسالية محبة إلى ملايين البشر التعساء الهالكين ، والابن بدوره احب الإنسان حتى تحمل لأجله الالم على الصليب رافضاً النجاة من أهواله حتى أتمم عملية الخلاص .

والروح القدس أيضاً جعل أمر خلاص الإنسان موضوع اهتمامه ، ومع أنه يكره الخطية كرهاً بالغاً إلا انه يسعى وراء الخاطىء بالحاح متكرر ولا يستريح حتى يقوده إلى المخلص المبارك

حتى الملائكة تهتم بهذا الموضوع الذى يتوقف عليه مصير الإنسان الأبدى

ومع ذلك نرى الخاطى لا يبالى !

عندما يبدأ الخاطى يفكر فى امر مستقبله الابدى ويعير موضوع الخلاص اهتماماً خاصاً يتولد الامل فى تجديده وخلاصـــه . فالاهتمام إذن هو الخطوة الاولى الى الله . إنه الحركة الأولى التى تبشر بالحياة فى إنسان ميت بالذنوب والخطايا . . .

كان شاب يعوم فى البحر لـكنه ابتدأ يغرق واخـيراً سعى اليه احدهم وسط امواج البحر واخرجه من الماء . ثم جاء دور الطبيب وابتدأ فى محاولة الانقـــاذ من الموت واستخدم لذلك مهارته وفنه . الام تنظر إلى الابن فى لهفة وقلق ولـكنها اخيراً شاهـــــدت الحركية الأولى فى جسمه ، حركة تدل على الحياة فتنهدت بارتياح لأن الإبن فى طريقه الى الحياة ، ويبدأ القلب يخفق والعينان تتحركان ويقوم الشاب وتقدم أمه الشكر لله لان ابنها عاد إلى الحياة

أيها الخاطى إن كتاب الله يصفك بأنك « ميت بالذنوب والخطايا » (أف ٢ :١) ، وهذا حق بالنسبة لـكل الخطاة سواء منهم من توغل فى الشر الى حد بعيد ومن كان منهم مؤدباً هادئاً ، والموت هو الموت رغم اختلاف مظاهره فى الاحوال المختلفة فمرة يكون مظهر الموت مرعباً ، ومرة يكون هادئاً. اذهب إلى ميدان القتال وبعد ان تنتهى المعركة تمشى بين القتلى لترى هناك الموت فى ابشع صورة . اما إذا اردت منظراً هادئاً من مظاهر الموت فاذهب إلى احد المنازل فى سكون الليل لترى هناك طفلاً يموت على حجر امه وقد

طبع الموت على محياه طابعاً وديعاً وعميقاً. ومع هذا فلا فرق بين من يُذبح المعركة وبين من يموت بهدوء على فراشه. هكذا لا فرق بين الخاطى الذى يموت بعنف وقد توغل فى الشر ومن يموت بهدوء فى غرفة الآداب وعلى سرير الاخلاق .

الروح يحيي

الروح القدس هو الشخصية الإلهية التى تقدر أن تعيد الحياة إلى النفس الميتة فى قبور الخطية .

قد يجتمع حول خاطىء واحد كل الخدام الأمناء من كل الأرض ومعهم رجال الصلاة ، ويقضى الجميع ساعات طويلة فى صلوات وتوسلات حتى يخلص ، بل ويستمرون هكذا سنين طويلة ولكنهم بدون عمل الروح القدس يفشلون فى مهمتهم المباركة .

أيها القارىء العزيز ، الروح القدس وحده هو الذى يعيد اليك الحياة، فاذا ابتدأ يعمل فى قلبك عمله المبارك مبكتاً إياك فانما ذلك ليقيمك من موت الخطية . وفترة عمل الروح القدس فى قلبك هى فترة هامة فى الواقع بالنسبة لك لأنه بعد أن يعمل ويعمل مدة طويلة أو قصيرة لن يستمر على طول الخط على هذا النحو ولن تكون أنت تحت تأثير الروح القدس حتى النهاية ، فاما أن تسمح له أن يقودك الى شخص الرب يسوع للغفران والسلام وإما أن تقاومه وتقاومه حتى يفارقك وتعود إلى حياة القساوة وعدم المبالاة من جديد .

إن فترة عمل الروح القدس هى فترة دقيقة فى حياة النفس لأنها قد تؤول إما الى خلاص أبدى أو الى هلاك أبدى .

عمل الروح القدس هو أن ينبه نفسك من سباتها العميق و يوقظها من نومها الذى يشبه الموت وذلك بأن ينظم لأجلك حملة قوية مباركة ويعمل على قلبك هجوماً شديداً . فمن الخارج رجال الله، يتضافرون فى الصلاة لأجلك، وخدام الكلمة يشيرون لك الى حمل الله ، وكلمة الوعظ من على المنبر ترن فى أذنيك رنيناً أشد من اى وقت مضى ، رنيناً اشبه بصوت البوق ، ومن الداخل يهتز قلبك اهتزازاً شديداً عندما تدينك كلمة الله بالقول « أنت هو الرجل ! » (١صم ١٢:٧) والذاكرة تسترجع صفحات الحياة الماضية الممتلئة بالخطايا والشرور ، وتذكر أيضاً صلوات امك التقية التى احتقرتها ولم تأبه بها ، وتمر بمخيلتك اصوات الرب التى مقتها ، كل هذه تتحد الآن فى توجيه اللوم الشديد إلى نفسك وتقرع بشدة على قلبك وتوبخك على خطاياك توبيخا يتجاوب صداه فى كل غرفة من مخادع نفسك. إنها أعظم فرصة لك لتتوب، فرصة عمل الروح القدس المبارك .

لا تقاوم الروح

مقاومتك للروح القدس مصيبة كبرى على مستقبلك الابدى لانك إن قاومت الروح القدس يظلم فكرك من جهة أمور الله و يفارقك روح الله ويقول الله عنك أنك « موثق بالأصنام اتركوه » (هو ٤:١٧) .

يسكن بعض النساك جبال الالب حيث يتعرض سفح الجبل لزوابع ثلجية قارسة يذهب ضحيتها الكثيرون من المسافرين فيخرج النساك للانقاذ وبحكم درايتهم بموضوع الإنقاذ تعودوا أن يعرفوا حالة الشخص وهل من الممكن إنقاذه أم لا ، فاذا حاولوا ان يوقظوه لكنه يرفض ان يتنبه بل يغضب ويثور ويصر على ان يبقى نائماً يدركون ان حالته سيئة جداً . هكذا الحال ايضا مع الذين تقسوا من جهة كلمة الله وقاوموا الروح القدس حيث تقيدت نفوسهم وغرقت فى سبات عميق .

عندما يعمل الروح القدس نهضة مباركة تكتسح البلاد طولاً وعرضا وتصل الى كل بيت قد يستهزىء احد المقاومين ولا يبالى بينما الروح القدس يبكته بشدة ويظل ذلك الإنسان يقاوم عمل الروح بشدة.

وبينما نرى الكثيرين يسلمون الحياة للرب ويتوبون يظل هو فى حالته وهدوئه المصطنع . لكن هدوءه هذا هو الهدوء الذى يسبق العاصفة الهوجاء، أو الهدوء الذى يحس به المريض عندما يصل المرض الى كل عضو فى جسده ويصبح قريباً من الموت إذ يحس أنه أحسن من ذى قبل، وقد يهنئه أصدقاؤه على التقدم ولكن الطبيب ينظر اليه بحزن لانه يدرك ان قلبه اصبح يصارع بقوة تحت هجوم المرض ، هكذا عندما يقول الخاطىء التعس سلام وأمان يفاجئه الهلاك بغتة .

عدم الايمان

إن الخطية العظمى التى جاء روح الله ليبكت الناس عليها هى خطية عدم

الإيمان . قال ربنا يسوع عن الروح القدس « عندما يأتى يبكت العالم على خطية ... أما على خطية فلأنهم لم يؤمنوا بى» (يو ١٦:٨،٩) . لقد مات المسيح البار لاجل الأثمة الفجار، وجعل الخلاص مجاناً كالهواء الذى نستنشقه، ولكن روح القدس قد جاء ليجعل البشر يقبلون ترتيب الله للخلاص ويؤمنون به ، ويبكت غير المؤمنين على خطية عدم الإيمان بمحبة الله غير المحدودة . قد لا يوجد دليل على مدى بؤس وشقاء البشر فى خطاياهم رغم موت ابن الله لاجلهم إلا جهود الروح القدس التى ينزل ليقنع الناس بحاجتهم الى المخلص المبارك .

إن تعريف عدم الإيمان كما هو وارد فى كلمة الله تعريف مرعب حقا لان معناه أن الانسان يكذب الله « من لا يصدق الله فقد جعله كاذباً » (١يو ٥: ١٠) . لنفرض ان جميع من حولك اصبحوا يشكون فى صدق كلامك ، حتى عائلتك وجيرانك أصبحوا يلقون بكلامك عرض الحائط ولا يصدقونه باعتباره كلاما لا يستحق التصديق، كم تكون آلامك شديدة ومرة ! وكم تشعر بالمهانة تملأ قلبك ! فكم يكون شعور الله العظيم الذى ضحى لاجلك تضحيات هذا مقدارها وأنت ترفض ان تثق بكلامه بكل احتقار . هل من شك بعد ذلك ان يصدر أمر الله من عرشه العظيم « من لا يؤمن يدن » .

أثر الخطاة

فى الغالب لا تظهر خطية عدم الإيمان بصورة سافرة إلا فى بعض

الملحدين الجدفين أما المظهر الاكثر شيوعاً لهذه الخطية فهو مظهر التواضع وكما ان الشيطان يغير شكله الى شبه ملاك نور هكذا خطية عدم الإيمان أيضا فنراها فى الخاطىء الذى يقول : أنا اشر الخطاة وخطـــاياى لا يمكن أن تغفر لأن يسوع سوف يرفض ان يغفرها ، ليس لخاطىء مثلى خلاص ولا غفران

هذه هى خطية عدم الإيمان فى مظهر التواضع المزيف الذى يصدر من القلب المخادع الشرير للابتعاد عن الإله الحى .

إفرض أن رئيس مدينة ما أصدر نداء لـكل الفقراء والمحتاجين أن يأتوا إلى مكتبه وهناك سيوزع عليهم الخبز مجاناً بلا فضة ولا ثمن ، وافرض ايضا أنه بمرورى فى ذلك اليوم فى احد شوارع المدينة شاهدت رجلاً بائسا يبكى بمرارة فسألته عن سبب حزنه فأجابنى بأنه يكاد يهلك جوعاً . من البديهى أن انبهه الى نداء رئيس المدينة وأن اقوده الى المـكان حيث يقدر أن يسد جوعه فى الحال ، ولـكن لدهشتى سمعته يقول: أنا جوعان جداً لدرجة أننى لا يمكننى أن آخذ خبزاً من رئيس المدينة ، ان النداء لا يقصدنى أنا بالذات بل يقصد من كانوا أخف منى جوعاً !!

ماذا يكون إذن تفـكيرنا عن هـذا الشخص ؟ . هل نتهمه بالجنون ؟ وان كنا نتهمه بالجنون لأننا سمعناه يتحدث بهذا الاسلوب الغريب غير المنطقى مع اننا لو أفهمناه ان جوعه هو المؤهل الوحيد للحصول على الطعام لـكان يصدق ، فـكم يكون جهالة أولئك الذين يبتعدون عن يسوع المخلص لانهم خطاة وأشرار .

إن مهمة الروح القدس فى هذه الحالة هى أن يقنع الخاطىء أن خطاياه التى يعتقد أنها تبعده عن الرب يسوع هى بعينها المؤهــل الوحيد له للمجىء لشخصه .

جعل احد الخطاة المتبكتين على خطاياهم يندب حظه امام احدى السيدات المتقيات فقال فى مرارة :

— آه انا هالك وبائس .

فأجابت السيدة التقية بالقول : انا مسرورة ان اسمعك تقول ذلك .

— ماذا ! تقولين انك مسرورة ان تسمعينى اقول لك اننى هالك.

— نعم لان يسوع قد جاء ليطلب و يخلص ما قد هلك .

استخدم الروح القدس هذه الـكلمات وأوصلها الى قلب الرجل فرأى ان سر شقائه هو عدم الإيمان ، وفى الحال وفى نفس المـكان قبل يسوع بالإيمان فمضى فى طريقه فرحاً .

الخطيه الملعونه

إن الروح القدس يبكت الناس أيضا على خطية عدم الإيمــان لأنها فى الواقع خطية ملعونة تعتبر أم الخطايا الاخرى جميعها .

لماذا يحلف هذا الرجل ؟ ولماذا أصبح ذاك سكيراً ؟ ولماذا يكسر ذاك ناموس الله ؟ السبب لانهم لم يؤمنوا بأبن الله ، وفى اللحظة التى يؤمن فيهــا الخاطىء بعمل الإيمان بالمحبة و يطهر قلبه فينقطع سيل الخطايا من حياته .

لذلك لا يطلب الروح القدس من الخاطىء أن يمتنع عن هذه الخطية الظاهرة أو تلك بينما جذر كل خطية لا زال موجوداً فى القلب . ولو فعل ذلك لأصبح مثل ذلك الرجل الذى لما أراد أن يقطع شجرة أخذ الفأس وابتدأ من أعلى الشجرة يقطع أغصانها واحداً واحداً بدلاً من أن يضع فأسه على أصل الشجرة مرة واحدة .

إن الروح القدس يضع فأس حق المسيح على أصل شجرة عدم الإيمان ليصبح الشخص « خليقة جديدة فى المسيح يسوع » وتصبح محبته للفادى الحافز والمحرك له للتوبة .

تذكر إذاً أيها القارى أنه مهما كانت تبكيتاتك وفزعك ، ومهما كان عدد صلواتك ودموعك وعزمك وتصميمك، فاذا لم تأت الى الرب يسوع وتلقى بنفسك عليه بالكلية فأنت تقاوم روح الله وفى عدم ايمانك أنت معرض فى أى لحظة أن تستدعى الى محضر الله الذى أصدر حكمه الرهيب ضد هذه الخطية ، خطية عدم الإيمان .

الفصل الخامس

الايمان الذي يخلص

الإيمان بالمسيح هو الامر الأساسى للحياة الابدية ، و بدون هذا الايمان لا حياة ولا خلاص .

توجد حقائق مهمة كثيرة فى كلمة الله يمكن للانسان أن ينال الخلاص دون أن يعرفها ، ولكن أبواب السماء ستظل موصدة أمام من يموت دون أن يؤمن بالمسيح . هذا الإيمان ليس مجرد طريقة من طرق الخلاص ولا وسيلة ضمن وسائل أخرى كثيرة للتجديد ولكنه الطريقة الوحيدة والوسيلة الوحيدة. وعلى هذا الحق الالهى الواضح تتوقف سعادتنا فى السماء أو تعاستنا فى جهنم .

لعل شخصاً ما يقف موقفاً حيادياً امام حق الإيمان بالمسيح فلا يهتم به كأن لا دخل له به ، لكن هذا الحق له دخل بالنسبة لكل واحد ، وقد أعلن يسوع له المجد ان مثل هذا الحياد أمر غير ممكن بقوله « من ليس معى فهو علىّ » (مت١٢ : ٣٠). ان موت المسيح يضع الإنسان تحت الالتزام للقبول أو الرفض ، ويوما من الأيام سوف يصطدم الانسان على شواطىء الابدية بهذا الحق حيث يتأكد ان امر الايمان بالمسيح كان بالنسبة له رائحة حياة أو رائحة موت .

تفاوت الحقائق فى كلمة الله

من الملاحظ فى الكتاب المقدس أن الامور المختلفة والحقائق الكثيرة تتناسب فى مدى وضوحها فى المكتوب مع ما لها من أهمية من جهة الانسان ومن هذه الحقائق المهمة خطة الله للخلاص لذلك تراها فى منتهى الوضوح والسهولة ، وقد بلغ الامر بسهولتها ان تعثر الكثيرون بها وذهبوا الى الجحيم لبساطتها ، فبدلا من أن يؤمنوا بموت ابن الله كأساس لتبريرهم وحياتهم الابدية تراهم يبحثون عن بعض المؤثرات الغامضة التى يظنون أنها ستهبط عليهم من السماء وتسرى فى أجسادهم كالصدمات الكهربائية وتملأهم بانفجار عاطفى لا ينطق به ، أو هم يتوقعون اشراق نور عجيب مفاجىء على ذهنهم المظلم ، أو ينتظرون أن يرسل الله لهم صوتاً خفياً يعلن لهم انهم مقبولون وقد غفرت لهم الخطايا .

المعنى الحقيقى للايمان بالمسيح

إنما الإيمان الحقيقى بالمسيح فليس هو الانفجارات العاطفية ، وليس هو أيضاً مجرد التصديق انه ابن الله وانه مات ليخلص الخطاة وانه ذبيحة الكفارة الكاملة عن الاثم ، وأنه قادر وراغب فى خلاص كل من يأتى اليه وأن فى دمه الكفاية للتكفير عن كل خطية . فقد يؤمن الشخص بكل هذه الأمور كما يؤمن بها الشيطان تماماً وتكون النتيجة انه يظل غير مخلص لأن هذه الحقائق مع أهميتها وصدقها لا تكون بالنسبة له إلا مجرد قبول عقلى

فقط . وهذا الاقتناع العقلي بشهادة الله ليس له تأثير في داخل القلب للخلاص والتجديد .

أما عندما يأتي هذا الشخص بالحق إلى يسوع و يلقي نفسه عليه في فقره وضلاله وهلاكه وعجزه عن خلاص نفسه واعترافه بحالته وثقته الكاملة بعمل المسيح على الصليب ليجعله مقبولا أمام الآب ، بهذا الإيمان القلبي فقط يخلص من خطاياه .

هذا هو الإيمان الحقيقي الذي يجعل من موت المسيح امراً واقعياً شخصياً فيقول المؤمن حينئذ : « إن ابن الله لم يمت لأجل الخطاة بل مات لاجلي أنا اول الخطاة » . و يقول ايضا : « في ذاتي لست شيئا ولكن المسيح هو الذي مات لاجلي وبواسطة بره أثق انني مقبول امام الآب » .

هذا الإيمان الحقيقي يمسك بالرب عن طريق الكلمة و يعلن أمام قلب الانسان مناظر الصليب والرأس المنحنية والدم المتدفق والجروح الدامية وكلمات ابن الله وهو يتجرع كأس الموت ، ويذكره انه بهذا العمل الذي تم يوماً على صليب الجلجثة يتبرر كل من ليس من الايمان .

التأكد بالايمان

كل من يؤمن بالمسيح يتأكد انه قد غفرت له الخطايا ، لا لانه حلم ذلك في حلم الليل ، ولا لان صوتا خفيا سرياً همس الى نفسه بهذه الحقيقة، ولا لان نوراً مفاجئاً اضاء امامه ، ولكن ببساطة لان الله قال ذلك . إن ثقتي باحساساتي ومشاعري هي مجرد اوهام لا يعتمد عليها ، اما قبول شهادة

الله التى شهد بها عن ابنه فهو الامر المهم ، وهذه الشهادة عينها هى اليقين عن سبب الرجاء الذى فينا ، فليس هناك اساس راسخ تستقر عليه النفس وتستريح أفضل من كلمة الله الخالدة .

افرض انك اسأت الى صديق عزيز ، وأن هذه الإساءة جعلتك تشعر شعوراً عميقاً بالحزن لم تقدر أن تحتملة فذهبت اليه أخيراً واعترفت بالخطأ وطلبت الغفران وسمعت منه كلمة الصفح فهل تتساءل بعد ذلك عما إذا كان صفح عنك ام لم يصفح ؟ وهل تنتظر ان يأتيك هاتف داخلى يؤكد لك غفرانه لك ام هل تنتظر صوتاً يأتيك معلنا لك ذلك أو ان ينفجر حولك نور عجيب يؤكد لك غفران الصديق ؟ كلا بل مجرد تصديقك لغفرانه يؤكد لك ذلك .

هكذا الامر بخصوص إيمانك بالمسيح ، فهو يستقر ويستريح على عمل دم يسوع الثمين ويتأكد ان العفو قد صدر لان الله قال « من يؤمن بالابن له حياة ابدية » (يو ٣:٣٦) .

لا حاجة إذن أن يأتى ملاك من السماء ليخبر المؤمن المتجدد ان خطاياه قد غفرت وأن اسمه قد كتب فى سفر حياة الخروف لانه يعتمد على شهادة أعظم من شهادة الملائكة وهى شهادة الشاهد الامين الحق ، ومن « يقبل شهادته فقد ختم ان الله صادق » .

نعم ختم ان الله صادق ونحن نعرف معنى وضع الختم او التوقيع على وثيقة ما ، لانه بهذا الاجراء يكون الضمان الكامل. هكذا تستريح النفس

بالايمان استراحة عذبة على عمـــل المسيح وعلى كلمة الله إذ فى هذا سلامها وتأكيدها وراحتها الى الابد .

الخطأ الاكبر

يخطىء الكثيرون خطأ بالغـــاً عندما يرفضون ان يرجعوا الى المسيح انتظاراً لشعورهم بتبكيت شديد أو محبـة أعمق للمسيح ، وهكذا يظلون وهم يلاحظون عواطفهم وينظرون الى قلوبهم فى انتظـــار اللحظة المباركة التى يكونون فيها فى حالة اكثر استحقاقاً للمجىء الى الفـادى . وبدلاً من أن تتجه حواسهم الى الجلجثة ليسمعوا كلمات الغفران والفرح من شفتى المسيح الذابلتين اللتين تهتزان اهتزازات الموت وهو يقول « قد اكمل » (يو ١٩: ٣٠) . نراهم يترقبون أن يأتيهم صوت الغفران والبهجة من داخل قلوبهم ، ولـكن هذا الصوت لن يأتى قط من هناك فليس فى القلب شىء صالح وبالتالى لن يأتينا من داخله إلا صوت الدينونة .

أمامنا مثل كتابى يوضح ذلك وهو موضوع الحية النحاسية . جاءت الحيات المحرقة تسعى الى محلة اسرائيل تحمل فى لدغاتها الموت المؤكد ، والناس يموتون من هنا ومن هناك ويسقطون صرعى ذات اليمين وذات اليسار ، واخيراً جاء أمر الرب الى موسى ان يرفع الحية النحاسية مؤكداً أن كل من ينظر اليها بالايمان يشفى فى الحال .

لنفرض الآن أن من بين الملدوغين شخص فى نزع الموت حمله أصدقاؤه الى حيث الحية المرفوعة وهناك حثوه برفق أن يلتفت اليهـا فيحيا ، ولـكن

صاحبنا بدلا من أن ينظر الى الحية ظــل ينظر الى جرحه و يشكو من الالم وأعراض التسمم المتزايدة التي يحس بها و يندب حظه بمرارة . هل يقدر مثل هذا الإنسان أن يحيا ؟ كلا ، بل سيموت وهو فى ظل الحية النحاسية ، لا لانه لا توجد هناك قوة لنجاته، ولـكن لانه لم يؤمن بما رتبه الله لخلاصه ولم يصدق كلامه .

أخي بدلاً من أن تندب حظك أو تشكو مرارة حالك التفت الى ذاك الذى قال عن نفسه « كما رفع موسى الحية فى البرية وهكذا ينبغى أن يرفع ابن الانسان لـكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تـكون له الحيــاة الابدية » (يو ٣ : ١٤)

موضوع الشعور

يقول الـكتاب «التفتوا إلىَّ واخلصوا » (اش ٤٥ : ٢٢) مشيراً الى شخص المسيح المصلوب ، لـكنك قد تقول بدورك لا يمكنني أن التفت اليه بمثـــل قلبي المتحجر ومشاعرى الباردة . إن كلماتك هذه تدل على الذات المتـكبرة والقلب المتشامخ ، لانه على فرض أن عواطفك تهيجت فهل مشاعرك وحدها قادرة على أن تخلصك ؟ واذا كنت تظن أن خلاصك متوقف على عواطفك ألا يدل هذا على أنه لا حاجة إذن إلى الفادى الذى جاء من السماء ليطلب ويخلص ما قد هلك ؟

هذا هو سر فساد أفـكار البعض بخصوص التجديد. ان تجديدهم تجديد الشعور وليس تجديد الإيمان . ومع أن الشعور يتغير ويتقلب كما تتغير الريح وتتقلب إلا أنهم يعتمدون عليه اعتماداً كلياً .

إن تجديد هؤلاء يشبه السيل الجارف الذى تكونه الأمطار الغزيرة بسقوطها على سفوح الجبال العالية فى موسم معين من السنة وعندما ينتهى موسم المطر تجف المياه ولا يبقى لها أثر ، أما التجديد الحقيقى بالايمان فهو كالنهر الهادىء الذى تنساب مياهه فى هدوء يوماً بعد يوم الى الابد .

إن ايمان الشعور كوميض البرق الخاطف فى الليلة المظلمة إذ يخطف البصر بنور مشرق فى الارض وأجواء السماء لكنه نور وقتى سرعان ما يختفى أما الايمان المبنى على كلمة الله فهو كضوء الشمس الواضح الذى يزداد اشراقاً الى النهار الكامل .

الايمان الحقيقى يثق فى يسوع وفى يسوع فقط ، يسوع الذى هو هو أمساً واليوم والى الأبد ، لذلك فالايمان به ثابت لا يتغير بتغير العاطفة والظروف .

الايمان يعطي راحة للنفس

فى تلك الليلة التاريخية التى مر فيها الملاك المهلك فى أرض مصر ، يوم أن أهلك أبكار مصر وأنقذ شعب الرب من ضربته بمجرد تصديق كلمة الرب ورش الدم على العتبة العليا والقائمتين ، و بعد عملية الرش استراحت قلوبهم واطمأنت نفوسهم . لم يكونوا فى حاجة الى وضع المتاريس والحواجز أمام أبوابهم ليمنعوا الملاك المهلك ، كما لم يكونوا فى حاجة الى السهر فى قلق طول الليل لحراسة أبكارهم فى أحضانهم أو الصلاة لأجلهم لأن تصديق كلمة الله جعلهم ينامون فى هدوء وعذوبة تحت حماية الدم المرشوش .

هكذا الحال مع كل من يؤمن بيسوع إذ يكون تحت حراسة الدم الثمين فتستريح نفوسهم وتأمن فى أذرع محبته اللانهائية .

لو تصورنا أن إيمان بنى اسرائيل فى قوة الدم الحافظة بدأ ينهار لباتوا يتلظون بنيران الشك والألم والخوف ، وكلما اقتربت الساعة الحرجة ازداد عذابهم ، وحالما تسمع الصرخة الأولى صاعدة من أحد المنازل المجاورة كانوا يرتعدون ويرتعشون ويجن جنونهم من الاضطراب .

أما وأن ايمانهم فى كلام الله كان ثابتاً فهذا سر الارتياح والاطمئنان.

قال أحدهم : الإيمان الضعيف يتراجع من مجرد وجود الأحجار المتناثرة فى طريقه ، ذلك لأن النظرة اليها تـكون نظرة إنسانية ضعيفة ، أما الإيمان القوى فلا يتراجع أمام الجبال الشاهقة الممتدة عـبر الطرق لأن النظرة اليها نظرة الهية مقتدرة بنعمة الله . إن صوت السماء يدعونا أن نتقدم الى الأمام وعندما نؤمن بقوة ونطيع نجد الجبال أمامنا أرضاً مسطحة ووديان مستوية .
آه كم يكون الإيمان قوياً عجيباً عندما ينبع رأساً من ينابيع محبة الله !

وقال كاتب آخر : مقابل كل نظرة لقلبك الشرير أنظر خمسين مرة الى المسيح بالإيمان فتطمئن .

ان انتظارنا لانبثاق السلام من قلوبنا قبل أن نؤمن بيسوع ليس أمراً غير معقول منطقياً فقط بل وكتابياً أيضا لأنه قلب للحقائق ، فالسبب يأتى أولاً ثم بعد ذلك النتيجة ، بمعنى أننا لن نقدر أن نـكون فى سلام وراحة قبل أن نؤمن بالمسيح حتى لو حاولنا ذلك .

إفرض انني قلت في نفسي سأبدأ أن أشعر بالحزن الآن فقولي هـذا لا يجعلني أشعر بالحزن ما دام لا يوجد سبب لذلك .

لـكن إذا ركزت تفـكيري في أمر محزن كأن أتذكر والدتي التي ماتت وأتصورها وهي على فراش المرض بوجهها الشاحب وشفتيها المرتعشتين وهي تودعني الوداع الأخير فلا بد للحزن أن يسود عليّ .

كذلك لو قلت : سأبدأ الآن ان اكون فرحـاً فلن أستطيع ذلك الا اذا ركزت تفـكيري في احدى الحقائق المبهجة .

هكذا الأمر بخصوص الأمور الروحية . دع الخاطىء ينظر الى يسوع على الصليب وهو يردد أنات قلبه الاخيرة ، ودعه يؤمن أن كل هذا كان لأجله وهذه المحبة الغير المحدودة متجهة اليه هو شخصياً ، ولا بد بعد ذلك أن يشعر بالراحة والسلام .

الفصل السادس

سحب حاجبة

الذين درسوا فى مدرسة النعمة لهم إدراك مبارك وسهل للحق الإلهى، وسرورهم أن يقبلوا الحق كما هو فى المسيح. لكن فى سماء معرفتهم قد تبدو بعض السحب الحاجبة التى تحاول جاهدة أن تشوه جمال الإدراك وتحجب عنهم رؤية المسيح .

إن التعصب الخاطىء لدى البعض جاء نتيجة لبعض المعتقدات الخاطئة، أو آراء بعض اللاهوتيين وانقياد الناس اليها انقياداً أعمى لما لهم من شهرة ، أو الارتباط الأعمى بكنيسة ما باعتبارها كنيسة العائلة ، أو غير ذلك من الافكار التى يتقبلها الناس قبل فهمها وتطبيقها على كلمة الله مع أنه لا يوجد لها أساس هناك. هذه الأمور كلها وغيرها تقف فى سبيل أولاد الله كجبال حاجزة تمنع إدراك الحق وقبوله كما هو فى المسيح يسوع .

أولا : التحامل والتحزب

ان للتحزب الطائفى تأثير عجيب على التفكير البشرى لدرجة تدعو

للدهشة ولا سيما بالنسبة لأخطر موضوع فى الوجود وهو موضوع الخلاص، فهو ينشر ظلاماً كثيفاً على الإدراك فيجعل التفكير ملتوياً والاستنتاج مقلوباً ، انه يقود الناس حتى يقرأوا كلمة الله لا ليكتشفوا لأنفسهم الحق ولكن ليبحثوا عن شيء يؤيدون به نظرياتهم التى تكون عادة نظريات سخيفة لا يقبلها حتى مجرد التفكير العادى البسيط بل يطردها كما تطرد أنوار الشمس المتزايدة الغيوم والسحب فى وقت الصيف .

ومن الصعب حقاً بل من المستحيل أن تقنع شخصاً ما بموضوع سبق أن قبل فكرة معينة عنه دون أن يفكر فيها ويدرسها،والحل لهذه المشكلة هو الرجوع للكتاب المقدس باعتباره أساس الحق ونطلبه ليعلمنا ويرشدنا.

عندما ارتفع صوت التحامل قائلاً «أمن الناصرة يخرج شيء صالح ؟» قال المتجدد السعيد الذى وجد مخلصه والتهبت به نفسه بالرغبة لخلاص صديقه الذى امتلأ بالتحزب حتى أنه لم يناقش هذا الكلام ، قال هذا المتجدد لصديقه « تعال وانظر » .

ثانياً : الاختبار

يختلف الناس اختلافاً كبيراً فى موضوع اختبارهم لخلاص الله،فالبعض يقبلون الحق من أول مرة يسمعونه فيها، وبسرعة البرق يتبكتون على ضلالهم وخطاياهم ، وبسرعة أيضاً يقبلون إلى يسوع للغفران . هؤلاء يقدرون بكل سهولة أن يحدثوك عن ساعة تجديدهم بالضبط ، وهذا الصنف من المتجددين يكثر فيما سجله لنا العهد الجديد .

أما الامر بالنسبة لعـدد كبير من أولاد الله فيختلف عن ذلك اختلافاً واضحاً إذ أن نور الانجيـــل قد أشرق فى عقولهم ببطء كاشراق النهار التدريجى . هؤلاء لا يقدرون أن يحدثوك عن التبكيت المفاجىء العنيف الذى تعرضوا له، ولا عن اضطرابهم وخوفهم من خطاياهم، ولا عن الهزات العنيفة التى أصابت قلوبهم لما سمعوا عظة معينة،و يصدق فيهم ما قاله أحدهم « لقد أيقظنى الرب بقبلة كما تيقظ الأم رضيعها » . ورغم تأكدهم من خلاصهم لا يقدر هؤلاء أن يحدثونا عن التغيير المفاجىء ولا الفرح المتدفق من قلوبهم مع أن نور الحق الالهى قـد غمر عقولهم وأن الرب يسوع قد أصبح مخلصهم العزيز وأنهــم لا يترددون وهم يعلنون مع الأعمى « أعلم شيئاً واحــداً أنى كنت أعمى والآن أبصر » (يو ٩:٢٥). وأمثال هؤلاء لا يقدرون أن يحددوا يوماً معيناً لتجديدهم ولا مكاناً معيناً لاختبارهم، ومع أن هذا الأمر قد يجعل البعض منهم يشعر بألم لـكن ليت هؤلاء يتذكرون أن وجــودهم فى المسيح هو الأمر الأساسى ، ومهما اختلفت الطرق التى يصلون بها اليه فلن يهم ذلك كثيراً.

عندما فتحت طاقات السماء وابتدأ الطوفان الجارف يكتسح عالم الفجار كان مجرد دخول الفلك هو العمل الذى يضمن السلامة سواء كان الوصول إلى الفلك بخطــوات سريعة أو بخطوات هادئة ، فالمهم أن تقول النفس المؤمنة « وجدت من تحبه نفسى» (نش ٣: ٤) هذا أهم بكثير من التحدث عن التغيير القوى السريع وعن تحديد اليوم أو الساعة أو المكان .

ثالثاً : تفكير خاطيء

يدرك البعض طريقة الخلاص إدراكاً خاطئاً وبسبب هذا لا يتمتعون بالخلاص بالايمان فى المسيح. لقد رتبوا فى عقولهم ما يجب أن يفعلوه وما يجب أن يشعروا به فى طريق الخلاص ورسموا فى مخيلتهم عملية افترضوا أنهم لا بد أن يجوزوا فيها ، وقد تستغرق هذه العملية أسابيع أو شهوراً من الاحساس بالتبكيت وسكب الدموع ورفع الصلوات فى جهاد و بعد ذلك يأتى اليهم تيار غامر من السرور المتدفق وكأنك أمام مريض بالحمى يمر بأطوار المرض المختلفة حتى ينال الشفاء .

هؤلاء يحاولون أن يخضعوا الله لأفكارهم إذ يظنون أنه سيغير فكره من جهتهم عندما يرى تذللهم ودموعهم وهكذا يتحول غضبه عليهم إلى رحمة وتبعاً لانتقالهم من حالة التبكيت إلى حالة الفرح سوف يسامحهم الرب و يغفر خطاياهم الماضية .

قل لمثل هؤلاء أن محاولاتهم لن تغير الله ولن تجعلهم مقبولين لديه بل إن إلهنا سيعتبر محاولاتهم غباء وجهالة لأنهم يحاولون أن يغيروا خطة الله لخلاصهم و يضعون بدلها خطة أخرى من بنات أفكارهم .

إن إلهنا لا يتغير، خطته لا تتغير ومحبته لا تتغير .لقد أحب البشر منذ القديم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلكوا، فليست دموعهم هى التى تجعل الله يحبهم لأنه أحبهم من الأزل ولا زال يحبهم، ولا يوجد شىء يقف حائلاً بينهم وبين الغفران والتبرير إلا أن يؤمنوا بالمسيح الذى ردّ اعتبار الآب كاملاً بعد أن أساء الانسان اليه وكسر ناموسه .

هذه الحالة التي نحن بصددها تظهر بوضوح في قضية نعمان السرياني . كان الرجل يشكو من مرض خطير شوه جمال حياته وأخيراً جاءته الأخبار السارة بأن رجل الله في أرض اسرائيل يقدر أن يشفيه من مرضه . ويبدأ الرجل حالاً في رحلته محاطاً بمظاهر العظمة التي أسبغتها عليه ثروته وحالما يقترب إلى مكان رجل الله يرتب في عقله عظمة شفائه فيتصور أن رجل الله يسرع اليه ويردد يده على الموضع ويرفع عينيه إلى السماء طالباً معونة الرب وفجأة يحدث التغيير المفاجيء ويشفى المريض .

هذه كانت خطة نعمان لكنها لم تكن خطة الله لان رجل الله أرسل اليه رسالة بسيطة قائلاً له : اغتسل في نهر الاردن سبع مرات فتطهر .

ما أشد اللطمة التي أصابت أفكار الرجل ! وفي الحال تقطب جبينه وبدا عدم الرضى على وجهه وشعر في قرارة قلبه بالمهانة لأن الله لم ينفذ البرنامج الذي رسمه لنفسه. لقد كانت خطة الله في غاية البساطة لكنها كانت في نفس الوقت تحطيماً لكبريائه .

وأخيراً وبعد إلحاح ذهب نعمان وفعل ما أمره به الرب فشفى . أيها القارىء العزيز، اطرح عنك أفكارك وكبرياءك الذي يجعلك تحتقر خطة الله لخلاصك ولا بد أنك ستنال الخلاص هذه اللحظة .

هل قرأت عن المرأة المريضة أيام وجود سيدنا على الارض وكيف شقت طريقها وسط الجمع حتى تلمس هدب ثوبه ؟ لاحظ كم كانت شاحبة وضعيفة وفاقدة للقدرة في نفسها ! الجمع يتماوج حول السيد تارة يبعدها عنه وتارة يقربها منه . مرة يدفعها إلى هنا ومرة يدفعها إلى هناك ولكنها لم تيأس

أبداً بل كانت تدفع نفسها للأمام. وأخــــيراً مـدت يدها المهتزة المضطربة ولمست ثوبه وفى الحال جف ينبوع دمها وامتلأ جسمها صحة وقوة فالتفت سيدنا على الفور مستفسراً عمن لمسه . لقد أدرك الفادى أن نفساً واحـدة مؤمنة وسط الجمع لمسته بيد الايمان فشعر أن قوة شافية قد خرجت منه الى أحد القلوب المؤمنة .

أيها القارىء هوذا المخلص المبارك قريب منك وأنت تطالع هــــذه السطور ولست فى حاجة أن تصعد إلى السماء لتحدره من هناك ولا أن تهبط إلى الهـــاوية لتصعده من هناك أيضاً. لست فى حاجة أن تذهب إلى أقصى الأرض وأنت تقتفى أثره وتسـعى وراءه . لست فى حاجة أن تنتظره فى الاجتماعات الملتهبة ولا عند كراسى الاعتراف مع أن الـكثيرين وجــدوه هناك. انه قريب منك هـــــذه اللحظة إذا صدقت كلمته وقبلت عمل ابنه. لا يوجـد بينك و بينه إلا غلالة خفيفة اسمها عدم الايمان اذا مزقتها الآن لا بد أن تراه ولا بد لسلام السماء أن يدخل إلى قلبك عنـدما تصرخ اليه « ربى وإلهى » (يو ٢٠ :٢٨) .

رابعاً : لا أقدر أن أؤمن

يحدث أحياناً ونحن نشرح خطة الله للخلاص بالايمـــان أن يعترض أحدهم بالقول « أنا لا أقدر أن أؤمن » .

هذا الاعتراض إهانة كبيرة للخالق. فإلهنا الذى خلقنا يعرف ما نقدر أن نفعله وما لا نقدر ، وكونه يطالبنا بالايمان و يتوعد غير المؤمنين بالعقاب

الأبدى دليل على أننا نقدر أن نؤمن. لـكن فى الواقع ليس العيب فى المقدرة بل فى الإرادة، فهذا الذى يعترض بعـدم قدرته على الايمان هو فى الواقع لا يريد أن يؤمن . يقول الرب يسوع «ولا تريدون أن تأتوا إلىّ لتكون لـكم حياة» (يو ٥ : ٤٠) . ومع هـذا يواجه المخلص بالقول « لا أقدر أن آتى اليك » .

افرض أن صديقاً أساء الى أعزّ أصدقائه ولما حثه البعض أن يذهب اليه ويعترف بخطئه ويسأله الصفح قال « أنا لا أقدر أن أفعل ذلك » فماذا يقصد بهذه العبارة؟ هل يقصد أن ساقيه قد شلتا عن الحركة والسير حتى أنه لا يقدر أن يذهب الى منزل صديقه ؟ هل يقصد أنه فقد قدرته على الكلام فلا يستطيع أن يطلب عفو صديقه ؟ كلا بالطبع ، ولـكن يفهم من كلامه أنه شخص عنيد وفى عناده لا يريد أن يعتذر . إن كبرياء قلبه هى السبب. هكذا كل مَن يقول أنه لا يقـدر أن يؤمن . هو فى الواقع انسان متكبر لا يرغب فى أن يطيع صوت الله الذى يناديه من فوق ولا أن يستجيب لنـداء ضميره من الداخل . انه يسير ويعمل بكل غيرة ليبنى صرح بره الذاتى ولا يريد أن يستسـلم لبر المسيح . والمدهش أنه يظن فى نفسه أنه متواضع كسير القلب مستعد لإتمام مشيئة الله ، وفعـلاً لو طلبت منه فى اجتماع عمومى أن يعلن رغبته للخلاص لفعل بدون تردد ، وقد يصلى ويقرأ فى الـكتاب المقدس لـكن شيئاً واحداً لا يريد أن يفعـله مع أنه أهم شىء يطلبه منه الرب . هـذا الشىء هو أن يؤمن بشخص المسيح . قد يعلن أنه مستعد أن يتوب عن الخطية ولـكن خطية واحده يشير اليها الروح القدس

يرفض أن يتركها هي خطية عـــــدم الايمان .

هذا الانسان يشبه شخصاً كسرت ساقه وقــد استدعى له الطبيب لعلاجه . أعلن الشخص المصاب استعداده لأن يضع ساقه المكسورة بين يدى الطبيب ليفعــل بها ما يشاء ، وعندما مرّ الطبيب بيده ضاغطاً على أجزاء الساق المختفة كان المصاب مستسلماً تماماً ولما وصلت يد الطبيب إلى موضع الكسر فزع المصاب وصاح : آه يا دكتور لا تلمس هذا المكان من فضلك . فأجابه الطبيب : هــذا المكان بالذات هو الموضع الذى يجب أن ألمسه واذا صممت على عدم لمسه فلا فائدة من بقائى هنا .

إن روح الله يلقى ضوءاً كافياً على خطية عـدم الايمان ويشير اليها باعتبارها الجرم الذى يقتل النفس ، ومع ذلك يتحدث عنها الخاطىء كما لو كان غير قادر على تركها، وكأن الله قد جعل الانسان تحت التزام أن يدعوه كاذباً لأن خطية عدم تصديق الله هى بعينها تكذيب الله !

آه، ألا ترى معى أيها الخاطىء فى هـذا الأمر كبرياء عميقة متأصلة فى داخل قلبك تبعدك عن الرب يسوع ، فاذا كنت ترغب فى الخلاص فاعلم أن المخلص يرغب فى ذلك أيضاً . لم يسفك دمه لأجل يوحنا أو بطرس أو بولس اكثر مما سفك لأجلك ، واذا خلصت فستخلص بنفس الطريقة التى خلص بها هؤلاء وغيرهم، وهى عن طريق دم ابن الله إذ تأخـذ منه بالايمان وترش على قلبك النجس فيطهر. إن المعطل الوحيد هو من صنعك أنت وهو عدم الايمان فافتح القلب بالايمان واطلب من السيد المبارك أن يدخل فتخلص فى الحال .

الفصل السابع

قوى للخلاص

النفوس التى تهرب من الغضب الآتى تحتاج الى ضمان وتأكيد لحالة الاستقرار الدائمة فى شخص المسيح القوى للخلاص .

والشيطان عدو كل خير لا يدّخر وسعاً ليحتفظ بالنفوس بعيـداً عن المسيح ، وإذا فشلت محاولة من محاولاته فلا مانع من أن يجرب محاولة أخرى. وحتى بعد أن يفلت الخاطىء من قبضته ويدخل دائرة الايمان، يسعى جهده لأن يحول حياته الى تعاسة وبؤس ما استطاع الى ذلك سبيلا وذلك عن طريق الشكوك والمخاوف.

فى محاولات الشيطان للاحتفاظ بالنفس البشرية فى قبضته يجعل النفس تستسلم للتواكل والنوم فى ضمان كاذب إذ يطمعها فى رحمة الله ، فيظهر هذه الرحمة بمظهر كاذب ويكرر المشهد القديم حيث قيل « لن تموتا » (تك ٣ : ٤) وبهـذا يجعل النفس تهمل وتطرد عنها فكرة الغضب الآتى الى أن تنتهى الحياة ويهلك الخاطىء فى خطاياه .

وإذا لم ينجح فى هذه الخطة ولم يستطع منطق الجحيم أن يحفظ النفس بعيداً عن الله فسيحاول محاولة عكسية وهى أن يقنـع النفس أنه لا خلاص

لها بالنسبة لـكثرة خطاياها ، وهكذا بعد أن كان يداعب النفس بالأمل الـكاذب والرجاء المزيف فى رحمة الله نراه الآن يدخل اليأس اليها لتفشل من رحمة الله ، وفى لحظات قليلة تنتقل النفس من حالة الجسارة الروحيـة والأمل الى حالة اليأس والفشل .

وإذا لم ينجح الشيطان أيضاً فى هذه المحـاولة الأخيرة يستخدم طريقة أخرى وهى خداع النفس بالتدين الظاهرى ، فلا يمانع أن يذهب الشخص الى بيت الله وقد ينـاقش رجال الله بحرية ويظهر بمظهر الأدب ولـكنه فى نفس الوقت يبتاع فى عدم الايمان ورفض كلمة الحق الإلهى الخالدة .

حقّـان واضحان

حقَّـان كبيران يبرزان من بين صفحات الـكتاب المقدس على جانب كبير من الوضوح . الاول : إذا خلص الخاطىء يؤول خلاصه الى مجد الله . والثانى : إذا هلك الخاطىء فاللوم يقع عليه شخصياً .

قد نتحدث عن سلطان الله وعن حرية اختيـــار الانسان ولـكن فى النهاية نخرج من الحديث والمناقشات بهذين الحقين الواضحين فى كلمة الحياة وضوح الشمس فى مجدها .

وعلى أساس هذين الحقين نفهم الـكثير من معـاملات الله ورغبته فى خلاص الانسان . فهو لا يدخر وسعاً فى إقناع الخاطىء بانه لا يسر بموته بل برجوعه اليه فيحيـــا ، ولـكن بالرغم من ذلك لا يزال الخاطىء يشك فى أقوال الله . آه ما أشر الانسان .

إن التعليم الذى يقول أن الله يرغب رغبة ملحّة وبأمانة فى خلاص الخاطىء نجده فى كل مكان من الكتاب المقدس مسجلاً بأقوى العبارات ففى (٢ تى ٢: ٣و٤) يقول الكتاب « لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون » وفى (٢ بط ٢: ٧) يقول «وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع الى التوبة». وآيات أخرى كثيرة يمكن أن نقتبسها لنبين كم يرغب الرب باشتياق أن يخلص أشر الخطاة، وأنه إذا هلك الانسان يكون هلاكه لا لأنه لا توجد محبة له فى قلب الله، ولا لأن دم يسوع لم يسفك لأجله ذلك الدم الذى يقدر أن يخلص كل نفس، ولا لأن هذا الدم فقد قوته فى خلاصه، ولكن لأنه صمم أن يرفض الخلاص بالطريقة التى رسمها الله وهى الايمان بموت ربنا يسوع المسيح لأجل خطاياه.

الله قدوس وقداسته ترغب أن ترى كل شىء مقدساً، أو بمعنى آخر، الله القدوس يريد أن يطهّر الخاطىء ويقدسه الى التمام، والدليل على ذلك أنه عندما يمتلك روح الله شخصاً ما ليقدسه، يشتاق هذا الشخص الى خلاص الخطاة فيصلى لأجل خلاصهم، وأشواق ذلك الانسان إن هى إلا أشواق الروح القدس لخلاص جميع الناس، لأنه بسكنى الروح القدس أصبح شريكاً للطبيعة الإلهية وأصبح له فكر المسيح، لذلك لا غرابة إن كان يشترك مع بقية المؤمنين فى الصلاة لأجل خلاص العالم، فيسكبون لأجل ذلك دموعهم وصلواتهم وأنفسهم فى خدمة هى فى الواقع صدى للصوت الأزلى الخارج من

عرش الله «هل مسرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب إلا برجوعه عن عن طرقه فيحيا» (حز ١٨ : ٢٣) .

دليل آخر

دليل آخر لا يحتاج الى تفسير أو إيضاح عن مشاعر الرب نحو العـالم الهالك هو بذله الابن المحبوب. فعند ميلاده أرسل جمهوراً من الملائكة ليعلن غرض مجيئه لا كمخلص للقليلين بل كمخلص الجميع « لا تخافوا فها أنذا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب» (لو ٢ : ١٠). وهكذا شملت البشرى جميع الناس . والواقع لولا أن الخلاص فى المسيح خـلاص شامل لما أصبحت البشارة مفرحة لجميع الشعب .

إفرض أن عـدداً من الاشخاص موضوعون تحت الحفظ فى سجن ما حتى يحين موعد تنفيذ حكم الاعدام عليهم ، وفى ليـلة من الليالى فُتح باب زنزانتهم ليدخل رسول من الحاكم ليعلن لهم هذا الاعـلان : إفرحوا يا أصدقائى فعندى لـكم خبر سار . ثم يسكت قليـلاً ، ويتوقع هؤلاء التعساء خبراً جميلاً ، وتتركز أعينهم على وجهه فى سكون تام .. ومرة أخرى يتكلم الرسول فيقول لقد صـدر اليوم عفـواً عن بعضكم . فهل يكون هذا الخبر ساراً لكل واحد منهم ؟ كلا ، لأنهم لا يعرفون من هم هـؤلاء المحظوظين منهم الذين يشملهم العفو . ولـكن لو صدر العفو شاملاً بدون استثناء لأصبح بحق خبراً ساراً لجميعهم .

إن سيدنا المبارك يعرف طبيعة إرساليته لذلك قال فى الكتاب المقدس «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية» (يو ٣: ١٦). وفى هذه الكلمات المباركة نرى أمرين يخصانك أيها الخاطىء مهما عظمت خطاياك : أولهما أن الله أحب (العالم) وأنت واحد من العالم لذلك فقد أحبك الله أنت بالذات حتى بذل ابنه الوحيد لأجلك. والثانى عبارة (كل مَن) وهذه العبارة أيضاً تشمل كل العالم إذا آمن العالم بشخصه.

لقد جاء يسوع ليخلص العالم عن طريق الايمان به لأنه هو الإله القوى للخلاص. دعنى الآن ألفت النظر الى بعض الحقائق التى تظهر ربنا يسوع كالإله القوى لخلاص أشر الخطاة.

أولا : المرأة الخاطئة

كان السيد يوماً فى زيارة لكفر ناحوم ودعى لتناول الطعام فى منزل أحد الفريسيين، وبينما كان يجلس الى المائدة تقدمت اليه امرأة خاطئة فى المدينة، سيرتها ملوثة بالنجاسة. لا شك أنها سمعت عن عظاته الفاحصة للنفس فتبكتت على ضلالها. وما أن دخلت حتى ابتدأت تغسل قدميه بدموع التوبة الصادقة، ثم تمسحهما بشعر رأسها لتظهر شكر قلبها العميق، وأخذت أيضاً تدهنهما بالطيب الغالى الثمن.

كان المنظر صدمة لذلك الفريسى الذى كان يراقب المشهد وابتدأ يتكبر وينتفخ ويقول فى نفسه «لو كان هذا نبياً لعلم مَن هذه إنها خاطئة» (لو ٧:

٣٩). هذا كلام انسان أعمى البصيرة لم يقدر أن يفهم معاملات الله. هل كان الفادي يجهل المرأة وماضيها حقـاً ؟ كلا ، لـكنه كان يعرفها تماماً ، وكان يعرف أيضاً توبتها الصادقة وإيمانها القوي وتضحياتها الثمينة وكل شيء عنها، لذلك بعد أن وبخ الفريسي المتكبر، وجّـه الى المرأة هذه العبارة المباركة : «إيمانك قد خلصك».

ثانياً : اللص التائب

ننتقل الآن لندرس حالة أكثر وضوحاً . كان يسوع على الصليب يقاسى آلام الموت وأهواله فى ساعة الاشرار وسلطان الظلمة وقد حمل فى جسده لعنة خطايا البشر أجمعين ، كما عصفت حوله زوابع الغضب من أولئـك الذين لأجلـــهم يقاسى الموت . إننا نسمع أصوات التجديف تتصاعد من آلاف الألسنة . والامر الذى كانت له مرارة أشد من مرارة التجديف والمجدفين ، هو احتجاب ابتسامة الرضى من محيّـا الآب الذى احتجب عن الابن فى ساعة الاهوال حتى صرخ الابن المبارك فى مرارة نفسه « إلهى إلهى لماذا تركتنى » (مت ٢٧:٤٦).

وفى غمرة الألم والحزن ، وبالرغم من أهـــوال الصليب لم ينسَ الابن المبارك أمر النفوس الهالكة . وما أن قبل أحد اللصين المصلوبين معه الحق وآمن بالمسيح حتى وجد من شخصه المبارك كل قبول واهتمام . لقد كان هذا الانسان شريراً يقاسى العقاب كلصّ كسر القانون وأهان الله ، لكن خطاياه الماضية لم تمنعه من قبول يسوع .. لم تكن له فرصة على الارض ليقوم بجهد

يكافأ عليه ويطالب على أساسه أن يقبله الآب كما يفعل البعض، ولكن شكراً لله لان كل جهوده لم يكن لها مكان لانه وجد فى دم المسيح حجة كافية لتبريره كما وجد فى بر الفادى نسيجاً كافياً لكساء نفسه العارية .

لقد كان هذا اللص رجلاً شريراً متمرغاً فى الخطية حتى أن مواطنيه لم يتحملوه وقرروا أن يتخلصوا منه ومن آثامه ، ولكن هذا الشخص المنبوذ من الناس آمن بالمسيح فى لحظاته الاخيرة فغفرت آثامه الماضية وسمع الوعد بالحياة الابدية من شفتى المسيح .

أيها الخاطىء لماذا تظل بعيداً عن ذلك المخلص المقتدر ولو ساعة واحدة. انه لن يرفضك أو يخرجك خارجاً .

ثالثاً : اختبار بولس

ربما يقول قائل أن سيدنا كان قويا للخلاص أثناء وجوده على الارض فقط أما بعد صعوده فربما تغير الامر واختلفت الصورة .

ورداً على ذلك نقول أن يسوعنا لا يزال يخلص، ولا يزال قوياً فى خلاصه بعد صعوده كما فى أثناء وجوده على الارض بالجسد لانه هو هو أمساً واليوم والى الابد . نحن معرضون لأن نتغير لأننا بشر ، وكل ما حولنا أيضاً معرض للتغيير ، لكن صديق العشارين والخطاة لا يمكن أن يتغير فى حبه لهم أو إشفاقه عليهم . والدليل على ذلك أنه بعد أن صعد الى السماء ، جذب بعواطف محبته شاول الطرسوسى رغم شدة تعصبه وعنفه .

كان شاول متعلماً ذا سطوة وقوة ، وكان بجانب ذلك عنيفاً فى مقاومته

للسيد وأتباعه ، وابتدأ سلسلة من الاضطهاد على كل مَن اتبع الفادى. وبينما هو كذلك فى طريق القتل والتنكيل والدمار ، نظر اليه السيد فى محبته فرأى فيه أناء مختاراً . لم ينظر اليه فى غضب، ولم تخرج شرارة من عرشه لتحطم ذلك المضطهد وتقتله فى الحـال، لأن العين التى فاضت مرة بالدموع لأجل الخطاة كانت تشفق على هذا الانسان ، واليد التى سُمرت مرة فوق الصليب لاجل الاثمة امتدت الآن لتنقذه من الدمار الابدى ، وفى لحظة تغير كل شىء! ماذا حدث ؟ لقد تجدد شاول الطرسوسى فتغير كل شىء فى حياته ، تحولت تجاديفه الى صلوات وكراهيته للمسيح وأتباعه الى محبـة فيـاضة مضحية. وبعد ثلاثين عاماً من ذلك الحدث العظيم فى طريق دمشق يقول الرسول المبارك: «صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبـول أن المسيح يسوع جاء الى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا» (١ تى ١:١٥).

أيها الخاطىء ، أنا لا أعرف مدى توغلك فى الشر ، لكننى الآن أقدم لك شخص المسيح القوى للخلاص ، الذى يقدر أن يخلصك مهما بلغت خطاياك ومهما كان توغلك فى الاثام . لقد اشترط الملك سليمان أن يعفو عن أدونيا اذا أظهر استحقاقاً للعفو ، أما يسوع فلا يتضمن عفوه وغفرانه أى شرط لانه يقبل غير المستحقين ممن يؤمنون به ، وعن طريق استحقاقه هو ، يحضرهم أمام الآب بلا لوم .

الفصل الثامن

سلام مع الله

أعظم بركة يمكن أن يتمتع بهـا الانسان على وجه الارض هى بركة السلام مع الله . عندما ودع يسوع تلاميـذه الوداع الأخير قبل الصليب ، وكانوا جميعاً يلتفون حوله فى حزن صامت ، أعطاهم هذه العطيـة كأعظم هدية . ومع كونه سيد الكل وله الارض وملئها ، وفى إمكانه أن يقـدم لهم كنوز العالم ، إلا أنه أعطاهم ما هو أسمى من الـكنوز وأعظم من الفضة ومن الذهب .. أعطاهم السلام «سلامى أعطيكم» (يو ١٤:٢٧).

لم تكن عطية السيد لتلاميذه سلاماً شائعاً ، لأن العالم يقدر أن يعطى مثل هذا السلام ، والرجاء الباطل يمكن أن يمنح مثل هذا السلام، ولكن يسوع أعطى التلاميذ سلامه ، السلام المبارك الذى فى قلبه طول الأبد .

مَن يقدر أن يتمتع بسلام الله

قبل أن يمكنك أن تجعل حيواناً ما يشعر بسعادة الانسـان ، أو بمعنى آخر ، قبل ما يستطيع الحيـوان أن يفرح ويتذوق السعادة التى يتذوقهـا الانسان البشرى ، يجب أن يعطى أولاً طبيعة بشرية بكل ما لهـذه الطبيعة

من إحساسات وإدراك وعواطف. وعلى نفس القياس، قبل أن تسعد النفس بسلام الله ، يجب أن تصبح شريكة الطبيعة الإلهية ، وهذا يتم عندما تثق النفس بشخص المسيح وتلقى بذاتها الى الأبد على مواعيده « قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط١: ٤).

لقد فقد الانسان سعادته لما فقد صورة خالقه ، ولا يمكنه أن يسعد ثانية دون أن يستعيد تلك الصورة فى شخص المسيح المبارك، وإلى أن يستعيد صورة الله من جهة القداسة لا يمكن لأى مؤثر خارجى يحيط به أن يجعله سعيداً لأنه لا سلام بينه وبين الله.

لماذا أحس آدم بالتعاسة عندما أخطأ مع أنه كان لا زال فى الفردوس بكل مناظره الممتعة، ومع أن السماء فوقه كانت لا زالت فى صحوها ولمعانها والارض من حوله فى خضرتها وجمالها؟ إنه الآن مضطرب النفس لشعوره بالذنب ، وهو يطلب أن يختبىء من حضرة الله . إن الخطية التى دخلت مخادع نفسه هى التى طردت السلام من قلبه وتسببت فى شقائه الابدى « لا سلام قال الرب للاشرار» (أش ٤٨: ٢٢).

قد يسكن الخاطىء قصراً شامخاً ، قد يجوب الكرة الارضية باحثاً عن المسرات التى تدخل السرور الى نفسه ، قد يجتمع حوله كل سكان الارض مقدمين له فروض الطاعة والولاء، لكن الخطية المتسلطة على قلبه تحول كل هذه التمتعات الى تعاسة الجحيم ، وتجعل من أصوات الموسيقى العذبة تأوهات مثل أنات الهابطين الى جهنم!. كل متعة خارجية تلهب نفسه

بتيارات الألم كأنه فى بحيرة ملتهبة إذ يحس بالفراغ الكبير فى نفسه، والحاجة الملحّة الى سلام الله فيصرخ أمام كل التمتعات العالمية « الكل باطل وقبض الريح ».

سلام كاذب

يحدثنا أرميا النبي عن البعض فى أيامه ممن خُدعوا بسلام كاذب فراحوا ينادون « سلام سلام ولكن لا سلام» (أر ١٤:١٦). هؤلاء المخدوعون بالسلام الكاذب، جعلوا نبي الله يرثى لحالتهم ويبكى عليهم بمرارة مع أنهم لم يشعروا بحالتهم لأنهم يظنون أن كل شيء يسير على ما يرام، بينما كان كل شيء فى حياتهم يسير بطريقة خاطئة. لقد كانوا يظنون أنهم أغنياء وقد استغنوا ولا حاجة لهم الى شيء، وهم فى واقع الأمر مفلسون روحياً الى أبعد حدود الافلاس.

مثل هؤلاء عندما يكشف لهم روح الله حالتهم يتبكتون على خطاياهم، وحالاً يفارقهم سلامهم ويحل محله الخوف والرعب بسبب شرورهم فيضطربون اضطراباً بالغاً وتشتاق نفوسهم الى السلام الحقيقى، فاذا لجأوا الى المسيح، يعطيهم سلامه الذى يفوق كل عقل. أما إذا ظلوا فى خطاياهم، فان روح الله يفارقهم ولا يعودون يتبكتون على خطاياهم ولا يطلبون سلام الله، ومرة أخرى يركنون الى السلام الكاذب.

أنه أمر طبيعى أن كل ما هو عنيف لا يستمر طويلاً، فالزوبعة الشديدة العاتية لا بد يعقبها هدوء، والمرض الشديد لا بد أن ينتهى إما

بشفاء أو بموت . هكذا الامر عندما توضع النفس تحت التبكيت الشديد ، والحزن البالغ على الخطايا ، فلا ينتظر أن تستمر هذه الحالة طويلاً ، لأنه لا بد من حدوث أمر ما ، فإما أن تتفاعل هذه العواطف من الخوف والحزن مع الايمان فيحدث التجديد الذى يهب النفس سلاماً واستقراراً وهدوءاً ، وإما أن يحدث ركود فى الفكر فيلجأ الانسان الى السلام الكاذب ، وهنا يكون الخطر ، إذ يظن ذلك الانسان أنه قد وصل إلى السلام مع الله .

هذا مع الاسف هو الوضع بالنسبة لآلاف المسيحيين بالإسم، الذين كثيراً ما تسمع منهم مثل هذه العبارات «نحن فى حالة أحسن »، « الحمد لله نحن فى تقدم»، الى آخر هذه العبارات التى تدل على الراحة الكاذبة التى لا تعتمد على المكتوب ولا تبنى على اختبار معين بالايمان . وإذا سألتهم كيف يشعرون بالسلام والراحة وهم يكسرون شريعة الله ، لا يقدرون أن يجاوبوا. والبعض منهم يبنى راحته الكاذبة على حالة من الشعور مرّوا فيها يوماً من الايام فظنوا أنها سلام الله الحقيقى وارتاحوا على ذلك . فاذا تصادف ووصلت كلمة الله بقوة الى قلوبهم فأزعجتهم من جديد فانهم حالاً يتذكرون هذا الاختبار الشعورى الكاذب ويكتفون به . وفى الواقع لا توجد جماعة من السامعين أشد صلابة فى تعامل الحق الإلهى معهم من هذه الجماعة التى تستريح على وسادة ناعمة من السلام الكاذب .

أيها العزيز ، إفحص ينبوع سلامك جيداً ! دقق النظر فى مصدر راحتك ، فعلى نوع السلام الذى تعيش فيه يتوقف مستقبلك . اذا أخطأت

فى عملك اليومى فيمكنك أن تصوّب الخطأ ولا يحدث بعد ذلك ضرر ، اذا أخطأت فى تأسيس منزل قد يكون من الممكن تلافى الخطأ ، ولكنك لو فارقت الحياة وأنت تظن أنك فى سلام مع الله بينما يكون الامر عكس ذلك، فلا يمكنك تلافى الخطأ لأنك لا ترجع مرة أخرى الى العالم لتصحح خطأك من جهة الخلاص ، وبانتهاء يوم النعمة ينتهى كل شيء أبدياً وينطفىء نور الأمل ، وحينئذ تملأ الابدية بعويل الحزن والندامة وتصرخ فى يأس «مضى الحصاد إنتهى الصيف وأنا لم أخلص» (أر ٨: ٢٠).

بركات السلام مع الله

هذا السلام الحقيقى مع الله هو الدعامة الأكيدة وسط تجارب وأحزان الحياة . يحدث أحيانا أن يجتاز الانسان فى متاعب تعجز دونها تعزيات البشر ولا تقدر أن تتعامل معها كلمات الاحباء ، اذا نجحت معه تعزيات البشر فتكون كحقنة مسكنة من مادة مخدرة ينتهى مفعولها بعد وقت قصير. ولكن يسوع بسلامه الحقيقى يقدر أن يحوّل ينبوع المتاعب الى فيض من البركات والتعزيات .

ما أكثر الادوية التى يقترحها البعض لأحزان الحياة، فواحد يتأوه ويشكو ويظن أن فى ذلك علاجاً لأحزانه بينما هو بذلك لا يزيد من أحزانه فقط، بل ويتعس من حوله أيضاً بشكواه وأنانه . وآخر ينحنى تحت الحزن وثقله والتجربة وقسوتها . وثالث يستسلم للتجربة فى عدم مبالاة ويسميها « الحظ التعس » .

هذه هى أدوية البشر لعلاج المتاعب والآلام، وهى بدون استثناء طرق غير ناجحة نقدر أن نقول عنها كما قال أيوب عن رفاقه «أطباء بطالون كلكم» (أى ١٣ : ٤).

أما موقف المؤمن فيختلف كثيراً فى هذه الظروف لأن له سلام الله. حتى عندما يواجه أشد الظروف قسوة وتغلق أمامه كل أبواب الرجاء، يدخل يسوع الى نفسه وبلهجته المباركة يخاطبه بالقول «سلام لك» (لو ٢٤ : ٣٦).

انظر الى بولس وسيلا وهما فى السجن المظلم بعد أن جلدهما مضطهدوهما حتى سالت الدماء من أرجلهما فى المقطرة فى السجن الداخلى. ما أشد الألم الذى تحملاه، لكن بالرغم من كل هذه الآلام كان سلام الله يملأ قلبيهما حتى أنهما من شدة الفرح انطلقت ألسنتهما فى تسابيح البهجة وتجاوبت أصداء ترنيماتهما الشجية بين جدران السجن القديم.

إن شخصاً يمتلك هذا السلام يقدر أن يواجه تجارب الحياة ليس فقط بهدوء ولكن بفرح أيضاً متقبلاً بالشكر ما يأتى اليه من بين يدى الاب السماوى.

ينزل وابل من الاحجار على رأس استفانوس لكنه وسط الآلام يقدر أن يرى السماء مفتوحة ووجه السيد يلمع أمامه بابتسامة الرضى. قد يلقى فى وسط الأتون الملتهب ولكنه كالفتية الثلاثة يقدر أن يختبر تنازل ابن الله وسيره معه فى وسط الأتون. قد يطلبه الشيطان ليغربله كالحنطة مثل

بطرس ولـكنه يقدر أن يسمع من سيده تأكيدات المعونة «طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك» (لو ٢٢:٣٢).

وقد تنزل سفينة حيـاته الضعيفة الى بحر هائج من المتاعب، لـكنه عبر البحر يرى يسوع ماشياً على الماء آتياً ليريحه ويهدىء من حوله الأمواج الثائرة فى ظلام الليل.

أيها القارىء العزيز، لـكى أؤكد لك أن هذه الحالة المبـاركة من السلام مع الله ليست مجرد إدعاء باطل أو خيال كاذب، تعـال معى لنمر على حالة من حالات الايمان فى زيارة سريعة.

سوف ندخل فى هـذا المبنى المتواضع الى غرفة جانبية ترقد فيها سيدة مريضة، دعنا نخطو ببطء لأننا نطـأ أرضاً مقدسة، الملائكة هنـاك ورب الملائكة هناك أيضاً.

وعلى سرير خشبى ترقد زوجة مسيحية، وأماً مباركة، على وشك أن تغمض عينيها على أمور الحياة. وبجوار سريرها يقف زوجها فى حزن عميق، يودعها الوداع الاخير وهى تغطس فى نهر الموت البارد. وهناك أيضاً طفليهـا الصغيرين يصغيان الى كلماتها الاخيرة ويطبعان على جبينها قبلة أخيرة. ها هى الآن تضم طفليها الى صدرها المحب وترفع عينيها الى السماء فى صلاة لأجلهما، وبعد ذلك يلمع محياها بنور السلام فتقول: «يا مخلصى المبـارك تعالَ... أنا أسمعه يقول لقد أحببتك محبة أبدية.. هوذا على كفىّ نقشتك». وبعدذلك تتحدث الى أهلها وأصدقائها الباكين، عن عالم مشرق حيث لا فراق والموت لا يكون فيما بعد.. ما أعظم سلام المؤمن حتى عند الموت!

وذلك الرجل العظيم الطيب صموئيل راذرفورد، عندما أوشك أن يلقى سلاحه فى معركة الحياة خاطب بعض الخدام الذين أتوا ليروه وهو على فراش الموت : أيها الاخوة أعملوا الكل لأجل يسوع، صلوا له، عظوا لأجله، قدموا طعاماً لقطيعه، زوروا المرضى لاجل خاطره .. إفعلوا الكل له . قال هذا ورقد .

وكانت كلمات جون نوكس الاخيرة «تعالَ أيها الرب يسوع، يا يسوع الحلو فى يديك أستودع روحى».

وتحدثنا سيرة جون إليوت المرسل بين الهنود أنه وهو على فراش الموت كان ممتلئاً سلاماً ورجاء وهدوءاً وثقة بيسوع، لم تقدر أن تزعزعها نزعات الموت وغصته.

أيها القارىء إستعد للقاء إلهك، واقبل يسوع المحب بالإيمان، حينئذ يجرى كنهر سلامك ويصبح الموت لك ربحاً.

الفصل التاسع

دعوة للعطاش

« أيها العطاش جميعاً هلموا الى المياه والذى ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا . هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً » (اش ٥٥ : ١)

إذا كان أحدهم سائراً فى طريق ما وسمع آخر ينادى ويقول « هلم » فحالا يفكر فى أسئلة ثلاث وهى : من المنادى ؟ ومن المقصود بالنداء ؟ ثم ما هو موضوع النداء ؟

والآن ونحن سائرون فى طريق الأبدية نسمع صوتاً ينادى عالياً وقوراً دعنا نفكر فى الأسئلة الثلاثة بخصوص نداء النعمة .

أولا : مَنْ المنادى

من الداعى والمنادى؟ انه الهنا العظيم فى السماء وعلى الارض. ذاك الذى يحرك الاجرام فى أفلاكها ومداراتها وينظم حركة الشهب السيارة ، الذى يحمل كل الاشياء بكلمة قدرته من الدودة الحقيرة التى تزحف تحت أقدامنا الى الملائكة النورانيين الذين يرنمون ترانيم السماء بلا انقطاع .

هذا هو المنادى المبارك الذى نسمع صوته فى الزئير المرعب والقصف المرعد والذى يملأ مجده السماوات والارض أيضا ، وهو بنفسه الذى يتنازل الآن ليخاطب البشر الخطاة ، دعنا نصغى بخشوع كامل لان « عنده المغفرة لكى يخاف منه » (مز ١٣٠ : ٤).

لكن كيف ينادينا الهنا وأين نسمع صوته ، ومن ذا الذى يحمل الينا نغمات محبته وصوت نعمته ؟

لو أننا كنا ضمن الجالسين على ضفاف الاردن وقت عماد السيد وأعطى لنا ان نسمع صوت الله يخاطبنا من السماء وأن نستمع الى ابنه الحبيب الذى به قد سُر ، كنا نشعر بالهيبة والوقار.

لو كنا ضمن المدعوين من عظماء مملكة بابل عندما ظهرت طرف اليد الكاتبة على مكلس حائط قصر الملك لما كان فى الامكان أن ننسى المنظر الرهيب ولا الرعب الشديد الذى استولى على الجميع . ولكن فى الواقع لا يوجد فرق بين كلمات الله واصواته لنا سواء كانت بنداء معجزى مسموع من السماء أو بواسطة يد تكتب على حائط ، وبين كلمة الله المسجلة فى الكتاب المقدس والتى تديننا وتدين خطايانا وتشير الى كل واحد منا بالروح القدس قائلة « أنت هو الرجل » (٢صم ١٢ : ٧) هذا هو سر الشعور الذى يتملك من يجلس فى بيت الله يستمع لانذاراته ويقع تحت دينونة كلمته.

لكن الكثيرين ممن تعودوا سماع الكلمة منذ الطفولية قد يفشلون فى أن يتحققوا أنها صوت الله يتكلم اليهم ، ومن ثم يصبحون فى حالة قساوة

روحية وعدم مبالاة ، وهى علامة سيئة من علامات الحرمان الروحى، عندما يزور شخص منطقة شلالات نياجرا لاول مرة فان قلبه يهتز خوفاً ورهبة عند سماعه صوت الميـــاه الرهيب « غمر ينادى غمراً » ، (مز ٧:٧٢) بينما الذين يعيشون بجـــوار الشلالات طول مدة حياتهم ينظرون اليها بغـــير اكتراث ، وكأن صوت اندفاع المياه الشديد قد فقد قوته فى آذانهم .

هكذا الأمر بالنسبة لـكلمة الله فالذين يدخلون بيت الله للمرة الاولى يقعون تحت تبكيت كلمة الله وتنكسر قلوبهم عند سماعهم العظة الأولى بينما مئـات الذين تقست قلوبهم يجلسون على المقاعد بلا مبالاة .

أيها القارىء العزيز ، لديك فى بيتك زائر عظيم هو الـكتاب المقدس، وطالما نقل اليك نداء إلهك من يوم إلى يوم ومن أسبوع إلى أسبوع وعلى مدار السنة . إن وجوده فى منزلك من الاحداث الهامة فى حياتك لأنه ينقل اليك صوت الله . بواسطته قد تخلص وبواسطته أيضاً قد تدان فى يوم الرب. وبعد أن يتلاشى العالم الحاضر ويمضى مع شهوته ويصير رماداً وحطاماً فان صوت الـكتاب المقدس ، الذى تهمل الإصغاء اليه الآن، سوف يظل ينادى معلناً مصيرك الشقى لأنك رفضت أن يقودك الى شخص المسيح الحى .

ثانياً : من المقصود بالنداء ؟

نأتى الآن الى السؤال الثانى من هو المقصود بنداء الله ؟

ان الله ينادى العالم أجمع لكنه لا ينادى العالم جملة بل يخاطب كل فرد على حدة،

يخاطبنا واحداً واحداً ، تكررت كثيراً عبارة « كل من » فى حديث الله الى البشر مشيراً الى أن معاملة الله مع البشر هى معاملة فردية ، كما أن دينونة الابدية دينونة فردية أيضاً . فى يوم الدينونة سيدان البشر واحداً واحداً، كما كان الحال عندما أخطأ الانسان الاول إذ طلب الله آدم أولاً ثم حواء ثم الحية ، وصدر الحكم عليهم واحداً واحداً فى الجنة ، وفى اليوم الأخير العظيم سيعطى كل واحد حساباً عما فعل بالجسد ، وسيرى كل واحد أعماله الدقيقة معروضة أمام العرش العظيم كأنها وحدها التى لفتت انتباه القاضى العظيم.

وكما هو الحال فى الدينونة هكذا أيضاً بالنسبة لصوت الله فى محبته ورحمته، أنه صوت فردى ، صوت شخصى ، يجب أن يقبله الانسان لا كصوت الله للناس وهو من ضمن الناس بل كصوت الله الموجه اليه شخصيا . وكل الذين استفادوا من بركة سماع صوت الله فى الكلمة هم أولئك الذين شعروا أن الكلمة تخاطبهم مخاطبة شخصية. وطالما يخبىء الخاطى نفسه وسط الجماعة ويظن عندما يسمع كلمة الله أنها ليست موجهة اليه بالذات وأنه ليس مقصوداً بالكلمة بل غيره ممن هم اسوأ منه حالا حينئذ لا تكون الكلمة بالنسبة له رائحة حياة بل تكون رائحة موت .

آه لو أن الانسان البعيد عن الله نظر الى منبر الوعظ كأنه كرسى الدينونة بالنسبة له، واستعرض أمامه بأمانة خطاياه الكثيرة ، ونسى وجود الناس حوله

كأنه وحده الموجود فى مكان الاجتماع ، وابتدأ يصغى لصوت الله فى شعور عميق من الدينونة الشخصية والمذنوبية الشخصية ، وابتدأ يحس بحمل خطاياه وأصدر حكمه على نفسه بالدينونة وبرّر الله ، لم يحاول أن يشفق على نفسه أو يطلب لها كلمات ناعمة بل وضع نفسه تحت أقسى الرسائل وأشدها توبيخا ، وترك المجال للروح القدس ليتخذ طريقه الى قلبه قائلاً له «اختبرنى... امتحنى» (مز ١٣٩ : ٢٣) عندئذ فقط تكون النفس فى حالة الاستعداد لترحب بنداء محبة المسيح .

ثم أن الله يخاطب العالم كمن صار بعيداً عنه جداً . هل تتساءل كيف عرفت ذلك ؟ نعم من استعماله لكلمة « هلموا » ، فنحن عادة لا ننادى الشخص القريب بهذه الكلمة بل ننادى البعيدين بها لنجذب التفاتهم الينا. وبعد الخاطى عن إلهه ليس بعداً جغرافيا لأنه بهذا المعنى قريب فى كل لحظة من الله ، « لأن الهنا عن كل واحد منا ليس بعيداً » (اع ١٧ : ٢٧) إن قاضيه الابدى يقف بجوار سريره ويسير معه فى طريقه وسواء كان وحيداً أو وسط الجماعة ، وسواء كان فى حالة ألم أم حالة رضى ، وسواء كان فى حالة الاستقرار أو حالة الاضطراب . إن عين الله موجهة اليه باستمرار . يا للانسان البائس ! ذاك الذى يظن أن فى إمكانه الهروب من الله بينما لا يقدر أن يهرب حتى من نفسه .

أما بعد الخاطى عن الله فهو بعـــد روحى توضحه حالته الفكرية التى يحاول فيها جاهداً أن ينسى الله وقد ينجح فى ذلك . بمعنى أنه بالرغم من أنه محاط بنعمه ومغمور بأفضاله و يتغذى من خيراته الا أن الله لا يكون موجوداً فى فكره . اليس هذا أمراً عجيباً أن يعيش الانسان بلا اله فى عالم ممـلوء بالله !

قد يرسم الانسان فى بعده عن الله خططاً مختلفة لطلب السعادة ولكن الله لا يكون فى هذه الخطط ، وقد يدخل فى مشروعات كثيرة دون أن يشرك فيها خالقه وسيده ، وكل محاولاته وتدبيراته وأفكاره خالية من الرب لأنه لا يشعر بالراحة عندما يفكر أن الله قريب منه .

حتى عندما يتحدث عن نظام الكون أو عن أى عمل من أعمال الله يتحاشى أن يذكر اسم الخالق فيتحدث عن الطبيعة وقوانين الطبيعة وعن فرص الحياة التى يسميها « الصدفة » .

مسكين هذا الانسان لأنه يعيش فى الكورة البعيدة إذ أبعد نفسه عن ذاك الذى يجعل للحياة لذة وقيمة فاضحى يفتخر بخزيه .

ثم إن الله يخاطب العالم الآن . نعم أيها القارىء ان الله يتحدث اليك الآن . هذا وقته المناسب للحديث معك فلا ترفض أن تصغى إلى حديثه معك الآن . لا تتقسى من فضلك ولا تلجأ إلى التسويف والتأجيل. إذا انتظرت للغد ، قد يكون الغد متأخراً جداً أو قد يكون متأخراً إلى الأبد ! لانه فى أى لحظة قد يكف بندول ساعة حياتك عن الحركة و يقف ساكناً ، وقد ينطفىء

مصباح الحياة وتضيع عليك الفرصة فتملأ الابدية بصرخات الحسرة .

أراد أحد الكتاب أن يصور هذه الفكرة تصويراً واقعياً قال: فى جزء من سواحل بريطانيا توجد بجوار المحيط صخور بارزة يبلغ ارتفاعها أحياناً الى خمسمائة قدم فوق سطح البحر ، وفى بعض فصول السنة تعود بعض الأشخاص أن يحصلوا على إذن خاص من السلطات ليجمعوا من هناك بيض الطيور النادرة التى تضعه فى شقوق الصخور . كما يجمعون بعض الأعشاب التى تنمو فى هذه الصخور . والطريقة التى يتبعونها للحصول على البيض والأعشاب تتلخص فى أنهم يثبتون فوق أعلى الصخرة عتلةً حديدية على بعد ياردة من حافة الجرف ويربطون فى هذه العتلة حبلاً متينا ليتدلى على حافة الصخرة ويمسك الشخص بالحبل وينزلق برفق حتى يصل الى بعض الشقوق فى الصخرة حيث يتوقع أن يجد ما يبحث عنه . مرات يكون الوصول إلى مكان الشقوق فى منتهى الصعوبة لدرجة أن الشخص يضطر أن يتأرجح فى الهواء ثم يثبت قدميه على الحافة ثم يستقر عليها ويجمع البيض فى سلة قد ثبتها بين كتفيه ولما تمتلىء السلة يصعد ثانية برفق يداً فوق يد حتى يصل إلى قمة الصخرة مرة أخرى .

لكن فى محاولة من المحاولات للوصول إلى أحد الشقوق فى الصخرة قد يفلت الحبل من يدى الرجل وحالاً يتأكد هلاكه المحتم . ففى ذلك المكان لا يتوقع أن يسرع أحد لنجدته أو حتى ليسمع صراخه لذلك يبقى هناك حتى يموت جوعاً أو يلقى بنفسه الى أسفل فيتحطم على بعد ٤٠٠ قدم!

وأرجو أن نتصور واحداً من هؤلاء وهو يلتفت حوله فيجد الحبل الذى أفلت منه يتأرجح إلى الأمام والى الخلف على بعد بضع ياردات منه وكلما مر الوقت قلت ذبذبته . وكل لحظة تمر به تجعل الحبـــل يبتعد عنه أكثر ، وبسرعة يفــكر ، الحبل هو فرصتي الوحيدة للنجاة وبعد لحظات سيصبح بعيداً عنى جداً وهو الآن أقرب إلىّ من أى لحظـــة قادمة. ثم بعد ذلك يقفز من على الجرف قفزة جريئة فى اتجاه الحبـــل فى اقترابه اليه ويمسك به بشدة وبهذه الطريقة ينجو ويعود إلى بيته فرحاً .

أيها القـــارىء أنت الآن واقف على حافة الابدية والرب يسوع هو فرصتك الوحيدة للنجاة وبدونه تهلك هلاكاً محتماً .

فوقك يوجد الإله الذى كسرت شريعته وأهنت ابنه ولم تأبه بدعوته. تحتك هوة الويل والدمار تفتح فاها لتبتلعك وتنتقم منك لعـدم قبولك ابن الله . خلفك لا شىء إلا الفرص التى ضيعتها والوقت الذى أفلت من بين يديك وصلوات رجال الله الافاضل لأجلك ومحاولات خدام الرب لنجاتك وآثار خطاياك المظلمة . لم يعد بعد الآن وقت لتضييعه. ولا لحظة واحدة بعد الآن. ان الرب يسوع هو حبل نجاتك الوحيد ونداء الله لك أن تسرع إلى حبل نجاتك الآن . نعم الآن ، وإلا كان الوقت متأخراً جـــداً ! إن الملائــكة الآن فى سكون ليروا ماذا تفعلى والسماء كلها مهتمة بأمرك والجحيم بما فيها متحفزة لهلاكك .

فى هذه اللحظة عندما تقع عينيك على هذه السطور ألق بنفسك فى ثقة

على المخلص الذى « يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام جميع الذين يتقدمون به إلى الله » (عب ٧:٢٥) .

ثالثاً : موضوع النداء

نتقدم الآن إلى السؤال الاخير عن موضوع النداء وهو أن يقبل العالم أجمع دعوة الله للخلاص الذى يشبهه هنا بالماء . ولا شك أن الماء هو المادة المناسبة للدلالة على الخلاص . وقف يسوع فى اليوم الاخير العظيم من العيد ونادى قائلاً «إن عطش أحد فليقبل إلىَّ ويشرب » (يو ٧:٣٧) .

وواضح من كلام المسيح أن الماء الذى يقصده هو الإيمان بشخصه للخلاص والحياة الابدية . وسنرى الآن أوجه الشبه بين خلاص الله والماء.

أولا : الماء ضرورى للحياة والوجود

وكذلك خلاص الله لازم للحياة الابدية. دع ينابيعنا تنضب أياماً قليلة، ودع السماء تمسك عن أن تعطى مطرها ولو وقتاً قصيراً ، وسوف تسمع صرخات اليأس منبعثة من كل مكان فى الارض ، أما إذا امتنع الماء مدة أطول، فسوف يموت كل حى من إنسان وحيوان و نبات .

إن الخلاص عن طريق موت المسيح الكفارى ضرورة حتمية لحياة النفس الابدية . يوجد من يظن أن النفس البشرية ليست محرومة تماماً من الحياة ولكن بها قبساً من النور والقداسة فى ذاتها وإذ اهتممنا بها ودربناها أكثر على الاخلاق والفضيلة تتقدم فى القداسة وتنمو أكثر فى الحياة

الاخلاقية . هذه النظرية منقوضة من أساسها وهى خرافة لا نصيب لها من الصحة ، والغرض الذى لأجله أوجـــدها البشر هو تدعيم كبرياء الطبيعة البشرية وجعل الإنسان يمجد نفسه بدلاً من أن يمجد الله . إنهـــا فـكرة كاذبة وخطيرة فى نفس الوقت والدليل على كذبها موجـــود فى الـكتاب المقدس .

يقول الرب يسوع «الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية » (يو ٣ :٢٦) إنه لم يقل أن فى الإنسان الطبيعى حياة أو جزء من حياة وأنه بواسطة المران والتدريب يمكن أن تنمو هذه الحياة ، كلا بل يقول لنا أن من يؤمن به له حياة أبدية وأن من لا يؤمن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله . إن حالتنـــا بدون المسيح هى « أموات بالذنوب والخطـــايا » (أف ٢ :١) و بدون أن نستيقظ من موت خطايانا بنعمة الله نقيد أيضا فى سلاسل الموت الثانى .

ثانيا : خاصية التنظيف فى الماء تشير إلى التطهير بدم المسيح .

لهذا يستعمل الماء أيضا كرمز للخلاص . إنه المادة المنظفة التى تطهر أجسادنا وبيوتنا . وواضح أن كون نفس الانسان بالطبيعة ملوثة بالخطايا ليس هو مجرد تعليم فقط بل هو اختبار أكيد أيضا . إن الله القدوس تطلع الى عالمنا فحكم على الجميع بالزيغان والخطأ ، ولهذا الخطأ العام أو الشر العـــام مادة مطهرة واحدة هى دم المسيح الذى يطهر من كل خطية. هذا هو علاج الله للخطية وهو علاج واحد فقط.

أما البشر فقد اقترحــوا وسائل أخرى للتطهير ، فالبعض يعتقدون أن التعلم والتأدب هو العلاج للخطية . وان كنت شخصيا لا أنـكر أهمية التعلم إلا أننى لا أعترف به كوسيلة لعــلاج الخطية والتطهير منها ، ومهما كان نصيب الانسان من العلم لا يقدر أن يطهر قلبه ، فأول المتعلمين قد يكون اشر الخطاة واول الخطاة، لقد اثبت التاريخ انه بين المتعلمين من هزت علومهم اركان الدنيا وانتزعت اعجــــاب الناس لـكنهم من الجانب الادبى كانوا متوغلين فى الفساد وعمالقة فى الشر .

إذاً لا يوجد اتصال بين المواهب الجسدية والطهارة الروحية بل قد نرى كيماوياً قديراً يحلل كوباً من المخدر ويخبرك عن صفاته المميتة ، وقد نرى أيضاً طبيباً يحــدثك عن آثاره السيئة فى الجسد ومع ذلك يكون كلاهما مدمنين لهذا النوع من المخدر . إن نفس الإنسان ليست فقط فى حاجة لأن تدرك الأمور الضارة من المفيدة بل أن تحب المفيد وتـكره المضر ولا شيء غــير خلاص المسيح يقدر أن يفعل ذلك ، لأن خــلاص الله يمتع النفس ببركة مزدوجة : بركة المعرفة أولاً وهذه مكانها العقل ، وبركة القدرة والمحبــة ثانياً وهذه مكانها القلب . وكما أن إلهنا نور ومحبـــة فى نفس الوقت هكذا كلمته أيضاً مضيئة ومطهرة فى نفس الوقت .

ثالثا : مجانية الماء تشير إلى مجانية خلاص الله .

مع أهمية الماء للجنس البشرى وكل الـكائنات الحية إلا أنه موجــود بكثرة ، والحصول عليه لا يكلفنا ثمناً ، فهو هبة الله المجانية . لقد امتلأت

به الأنهار الجميلة والبحيرات المتسعة وتساقط على سفوح الجبال متدفقاً بشدة وهو فى هذا أيضا يشير إلى خلاص الله المجانى، عندما يجرى أمامنا نهر الخلاص العذب الجميل يطالبنا الرب « من يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً » هلم أيها الشباب والشيوخ ، الاغنياء والفقراء ، المتعلمون وغير المتعلمين ، العبيد والاحرار ، هلموا إلى نهر النعمة . أيها الخاطى لو علمت عطية الله ومن الذى يخاطبك لطلبت منه الآن فأعطاك ماء حياً . لا تنتظر حتى يدبر الثمن لانه يقدمه لك مجاناً ، فقط تعال بفقرك الروحى واستغنى بالكنز الذى لا يفنى .

حوالى مليون ونصف مليون شخص كانوا على حافة الموت من شدة العطش عندما أمر الله موسى أن يضرب الصخرة فى البرية فخرجت منها مجارى المياه متدفقة باردة ترد الحياة إلى العطاش ، وبينما كانت الرياح الساخنة فوق رمال الوادى الملتهبة تحمل معها صراخ العطاش إذا بتدبير الله المبارك يتم فى الوقت المعين لخلاص البشر من الموت عطشاً فيذهب موسى حسب تدبير الله إلى الصخرة فى حوريب ويرفع عصاه ويضرب بها فيخرج الماء صافياً بارداً منعشاً ثم تسيل المياه إلى خيام شعب الله . وسرعان ما تغير الحال فالوجوه اليائسة أصبحت الآن مشرقة فى سرور وهوذا الآباء والأمهات يسرعون وهم يحملون الماء إلى أطفالهم العطاش والافوياء أيضا يحملونه إلى جيرانهم الضعفاء والجميع يهتفون هتاف الفرح والبهجة .

وعملية ضرب الصخرة إن هى الا اشارة الى موت شخص المسيح اذ يقول الكتاب « وجميعهم شربوا شراباً روحيا واحداً من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح » (١ كو ١٠:٣) .

ولكى يقدر الانسان أن يرتوى يجب أن يمد يده ليتناول ولا ينتظر أن يصل اليه الماء دون أن يسعى اليه . افرض أن شخصا ما جاء قاصداً الماء المندفع من الصخرة واناؤه الفارغ فى يده ، عينه حمراء كالدم من شدة العطش وكاد لسانه يلتصق بحلقه ، لكنه بدلا من أن يضع اناءه تحت الماء المتدفق وقف ساكتا منتظراً وصول الماء الى الإناء ، وفى وقوفه وانتظاره يتمتم قائلا: أنا انسان عطشان مسكين أكاد أموت من شدة العطش ولكن يجب أن أنتظر الوقت المناسب من الله الذى يندفع فيه الماء الى انائى بينما أقف منتظراً هكذا . ترى كم من الزمن يمر على هذه الحالة دون أن تحدث المعجزة التى ترضى هذا الإنسان الذى يرفض استعمال الوسائل العادية التى عينها الله وجعلها بين يديه !! مسكين هذا الانسان لانه سيموت عطشا وهو قريب جداً من الماء . ولا شك أننا نعتبره جاهلا بالنسبة لسلوكه الشاذ . لكن الكثيرين فى الامور الروحية يسلكون تماماً كما سلك ذلك الانسان اذ بينما مياه النعمة قريبة منهم وقد منحها الله هبة مجانية لطالبيها نراهم يؤجلون وينتظرون فرصة أفضل حتى تضيع الفرصة من أيديهم الى الابد .

لقد ضرب صخرنا ، ربنا يسوع ، لاجلنا واندفع من جنبه دم وماء . هذا هو ماء الخلاص ودعوته للكل « أيها العطاش هلموا الى المياه » ، ومع

ذلك فبدلا من أن نتمسك بكلمة المخلص و نؤمن بها و نفعل ذلك الآن ننتظر وقتاً مناسبا لنأتى اليه حيث يكون القلب أكثر لينا وأكثر نقاوة من الآن ! هذا الوقت لن يأتى أبداً بل سيتقسى القلب أكثر وتبتعد النفس عن الله أكثر من أى وقت مضى .

الفرق بين المؤمن والخاطىء ، وبين ابن الله الوارث مع المسيح والمستحق لتاج المجد و بين الانسان البعيد عن الله الذى لا يزال تحت لعنة الناموس وغضب الله ، الفرق بين الاثنين أن أحدهما آمن بالمسيح وقبل مياه النعمة المخلصة والآخر رفضها أو أجل قبولها .

وقبول مياه النعمة لا يكون الا بالايمان . وعدم الايمان وحده هو سر شقاء الجنس البشرى لأنه هو الذى ثبت الهوة السحيقة بين السماء وجهنم الى الابد .

جاء بعضهم الى السيد وقالوا له «ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله» (يو ٦: ٢٨) ، فكان الجواب « هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو أرسله » (يو ٦:٢٩) . لا يمكن أن يخطو أحد نحو السماء خطوة واحدة دون أن يؤمن بشخص المسيح .

جرت المحادثة التالية بين أخ مؤمن وسيدة مهتمة بخلاص نفسها .
السيدة : أنا لا أعرف ماذا أفعل ؟
الرجل المؤمن : لماذا لا تعرفين ما ينبغى أن تفعلى ؟

السيدة : انني أواظب على حضور الاجتماعات يوميا لمدة أربعة أسابيع ، وطول هذه المدة وأنا متبكتة على خطاياي ولـكني لا أشعر بتقدم .

الرجل المؤمن : وما هي أفكارك من جهة الخطوة التالية بعد التبكيت ؟

السيدة : انني أتوقع أن أشعر بالحزن أكثر ثم أبكي على خطاياي ثم أحاول أن أتركها .

الرجل المؤمن : انك تخطئين خطأ شائعاً لان خطوتك التالية بعد التبكيت هي أن تتقدمي الى يسوع . اذهبي اليه الآن لانك من ذاتك لا تقدرين أن تفعلي شيئاً . أنت تثقين في نفسك وتعتمدين عليها مع أن هذه اهانة موجهة الى المسيح المخلص . ان ذهابك الى المسيح ليس هو خطوتك التالية بل هو خطوتك الأولى بل وخطوتك الوحيدة .

السيدة . الآن أرى كل شيء بوضوح . ما أكثر بري الذاتي لأنني اعتمدت على نفسي بدلا من أن أقبل المسيح بالإيمان .

الرجل المؤمن : هل تأتين اليه الآن ؟

السيدة : نعم سأفعل ذلك الآن .

وهكذا حصلت على خلاص الله بالإيمان .

إفرض أن بعض أفراد بني إسرائيل بعد ما ضرب موسى الصخرة ورأوا بأعينهم الماء يخرج منها رفضوا أن يشربوا من مياه الله وذهبوا

بدورهم ليضربوا صخرة أخرى كما فعل موسى تماماً ، واجتمعوا جميعاً حول الصخرة محتقرين في نفوسهم تدبير الله الذى دبره لخلاصهم من الموت عطشاً واستعاضوا به وسيلة أخرى من أفكارهم . قد يكونوا مخلصين فى مجهوداتهم للحصول على الماء بأعمالهم . وقد يقضوا أياماً برمتها فى محاولات مستمرة لكن إخلاصهم ومثابرتهم لن تجعلا الماء يندفع من الصخرة ، ولن يحولا الله الكلى القدرة عن الخطة التى رسمها لتقديم الماء لهم .

لما كان بولس يهودياً غيوراً وسط جماعة اليهود كان مخلصاً جداً فى عبادته وغيرته ، ولكن إخلاصه للرب وغيرته على عبادة آبائه لم تشبع قلبه ولم تخلصه لأنه فى اخلاصه الخاطىء كان يبنى بر نفسه ويرفض بر ابن الله . ان الإخلاص ليس ديناً ولا عقيدة ولا يمكن أن يرضى الله ان كان اخلاصاً خاطئاً .

لكن الإيمان ، ولا شىء غير الإيمان هو الدعامة الوحيدة التى تثبت لأن ثباته من الله . وكل من يؤمن بالمسيح ويرتوى من مياه نعمته هو الذى يثبت الى الابد .

الفصل - العاشر

الخليقة الجديدة

« إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة »
(٢ كو ٥ : ١٧)

فى الفصول السابقة كنت أحس بالألم وأنا أصف حالة الخاطىء بدون المسيح لأنه فى الواقع لا يقدر أن يفعل شيئاً إلا الخطية . بل حتى كل عمل صالح يعمله بدون الإيمان يعتبره الله خطية لأن « كل ما ليس من الايمان فهو خطية » (رو ١٤ : ٢٣). لذلك فكل محاولات البشر لتقديس أنفسهم، وإرضاء إلههم دون أن يأتوا الى المسيح لا بد أن تفشل.

ولكن ما هو حق أن كل خاطىء يمكنه بواسطة الايمان بالمسيح أن يسلك فى طريق القداسة والاعمال الصالحة . إن شخص المسيح لا يعمل فقط لأجل المؤمنين بل يعمل فيهم أيضاً ، وهو لا يخلصهم فقط من أدران الخطية بل يخلص فى نفس الوقت من قوتها . وعلى هذا الاساس يعمل الرب فى المؤمنين عن طريق «تقديس الروح» (١ بط ١ : ٢) لكى «يكونوا مشابهين صورة ابنه» (رو ٨ : ٢٩) ولكى يكونوا «قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة» (أف ١ : ٤). وبالاختصار فان الدليل على أن للشخص إيماناً حياً بالمسيح وليس إيماناً

ميتاً هو حياة التجديد أو الحياة المقدسة لان الايمان يعمل بالمحبـــة ليطهر القلب . وقد أشار أحـد قديسى الله الى ذلك بقوله : «لا تقل أنك ولدت من الله وأن الدم المـلوكى السماوى يجرى فى عروقك إلا اذا أثبتّ ذلك بالحياة المقدسة» .

ومعنى هذا الكلام أن الشخص الذى يفضل الوجـود فى منزله دون أن يذهب الى اجتماع الصلاة ، أو الذى يحب سماع العظات دون أن ينفذها عملياً فى حياته ، والذى يكثر الحديث عن الخـدام وينتقد طريقتهم فى الوعظ بدلاً من أن يصلى لاجلهم ولاجل نجاح خدمتهم ويساهم مساهمة فعالة فى عمل الرب ، والذى يتحدث عن آلاف الخطايا عند البشر ولا يتنبه الى خطايا نفسه ، والذى يفضل أن يقرأ الصحف والقصص العالمية على قراءة كلمة الله المقدسة ، مثل هذا الشخص حتى ولو كان يصلى كإيليا وله غيرة كنحميا وإخلاص كدانيال أو كان عاطفياً كأرميا ، فكل عبادته رياء فى رياء ، وهو لم يختبر بعد حيـــاة التجديد بحق .

وعلاوة على الحيـــاة المقدسة التى سبق الحديث عنها ، أضع أمامك أيها القارىء العزيز ثلاثة أدلة اخرى لحياة التجديد وهى :

أولاً : محبة كلمة الله

أمر شائع جداً أن يحدثك المتجدد عن مدى محبته للكتاب المقدس إذ يبدو أمامه كتاباً جديداً جذاباً من كل وجه . ربما يكون ممن قرأوا الكتاب المقدس منذ الصغر وحفظوا منه جزءاً كبيراً فى مدارس الاحد ، وربما يعرفه

الكثير من محتوياته منذ زمن طويل قبل التجديد ، ولكن عندما يؤمن بالمسيح وينال اختبار التجديد يكتشف فيه جمالاً لم يدركه من قبل ، ويرى فيه نوراً جديداً لم يره من قبل فيصرخ مع داود « كم أحببت شريعتك » (مز ١١٩: ٩٧) . ذلك لان الروح القدس الذي إمتلك قلبه يدفعه لحفظ المكتوب ومحبة شريعة الله ثم يقوده أيضاً لان يحيا على الكلمة ويفتح عينيه ليدرك أمور الروح .

إن السبب الذى لاجله يحيا بعض المؤمنين أقزاماً فى حياة التقوى هو أنهم لا يتغذون بكلمة الله النقيــة . إن رجال الله القديسين الذين تعتبر حياتهم مثلاً حيـاً للتقوى ، ونوراً مضيئاً فى حيـاة القداسة ، يصل الينا عبر السنين ، كانوا يحصلون على قـوة يومية من التأمل فى كلمة الله والالهج فى شريعته . اذا قرأنا حياة معظم أولئك الذين استخدمهم الرب فى الكنيسة ، نجدهم جميعاً مؤمنين متحمسين للكتاب المقدس. من هذا النبع الصافى كانوا يرتشفون وبه أيضاً كانوا يتقوون يوماً بعد يوم ، وقوتهم هذه على حد تعبير أحدهم هى التى مكنتهم من ضرب ملكوت الظلمة ضربات تتجاوب أصداؤها مع الابدية .

إن الحياة التى تتغذى فقط على الاجتماعات العامة والاختبارات الشخصية والترانيم العاطفية والعظات التى تمس المشاعر والعوامل التى تهيج العاطفة ، هى فى الواقع حياة فقيرة ، وتقوى أمثال هؤلاء تقوى مريضة ، لكن النفس التى تستمد تقواها من الكتاب المقدس سوف تستمر حتى النهاية قوية مباركة .

إن الكتاب المقدس رسالة من الآب المحب الذى اشتقنا اليه طويلاً، وفيه يحدثنا عن عواطف قلبه من جهتنا ويدعونا بلطف الى العودة اليه كخطاة لنتمتع بحبه واحسانه، فاذا لم نجد سروراً فى قراءته أو اذا كنا نهتم مثلاً بالمحاضرات التافهة عن أمور الزمان اكثر من اهتمامنا به واعتبرناه جافاً لا جاذبية فيه، بهذا نؤكد ان محبة الله ليست فينا.

أيها الحبيب إعرف ارادة أبيك السماوى عن طريق الكتاب وادرسه كله، العهد القديم والعهد الجديد فكل الكتاب نافع. والعهد القديم هو العهد الجديد المعلن، والكتاب بجملته مرشدنا فى عالم مظلم مضطرب. انه يمسح دموعنا بكلمات التعزية ويبهج قلوبنا بمواعيده ويضيء بنور معرفته الثمينة كل ركن فى حياتنا ونحن عابرون وادى ظل الموت.

ثانياً: محبتنا لشخص المسيح

هذا دليل آخر على الخليقة الجديدة.

دخل أحد الضباط فى مبارزة مع عدو فى ميدان القتال، وأثناء المبارزة إنزلق وسقط على الارض، فرفع غريمه عليه السيف ليقتله فى لحظة، لكن أحد اتباعه ممن كانوا يحبونه أسرع وتوسط بين الضابط وسيف عدوه بجسمه، وتلقى ضربة السيف فى قلبه ولقى حتفه. ترى ماذا يكون شعور الضابط عندما شاهد الارض مخضبة بدم ذلك الجندى الأمين الذى وضع نفسه لأجله، لا سيما وهو يعلم أن الدم الذى سال على الارض كان مفروضاً أن يكون دمه هو؟ ألا يمتلىء قلبه بالحب القوى لذاك الذي وضع نفسه لأجله؟

هكذا لا يمكن أن يؤمن المتجدد أن شخص المسيح كان متوسطاً بين سيف عدالة الله وقلبه الخاطيء الشرير ، وأنه تلقى فى قلبـــه الطاهر الضربة المرعبة التى كان يستحقها هو دون أن يتملـكه شعور الحب لذاك الذى أحبه ومات لأجله .

بعد انتهاء معركة واترلو المشهورة، ذهب أحد الجراحين الى ميـدان القتال لإسعاف الجرحى . ولما جاء الى أحد الجنــود الفرنسيين المصابين ، بدأ يعالج الجرح بأن أدخل فيه مسبراً ليعرف مدى عمقه فى صدر الجندى ، فقال له الجنـدى : يا سيدى إذا تعمقت أكثر فستجد الإمبراطور هنـــاك داخل القلب.

أينما يوجد المؤمن الحقيـــقى ، وبغض النظر عن جنسه وموطنــه ولون بشرته ومكان معيشته وعاداته ، وسواء كان من أقصى الشمال أو من أقصى الجنوب ، من سكان المنطقة المتجمدة أو المنطقة الحارة ، ترى فيه هذه المحبة لسيده وتكتشف أن محبته لفاديه أقوى وأعمق من محبة الوالدين ومحبة العالم ومحبة الحياة نفسها .

لما أحضر أحد المؤمنين الأتقيـــاء أمام الامبراطور تراجان الرومانى لينكر المسيح وإلا قتل صاح بقوله : «ماذا !؟ هل أنكر سيدى وحبيبى ، ربى وإلهى ؟ ان يسوعى هنا فى داخل قلبى ولا يمكننى أن أنكره» فقادوه فى الحال الى ساحة الموت حيث استشهد لأجل المسيح .

هناك إحساسان قويان يوجدهما الايمان بالمسيح فى قلب المؤمن. الاول:

إحساس الفرح ، والثاني : الشعور بالحب . هذان الإحساسان يختبرهما كل من يتم إنقاذه مثلاً من حريق في منزل أو أي حادثة أخرى ، إذ يكون شعوره الأول هو شعور الفرح لنجاته من موت محقق ، والثاني هو شعور الحب والعرفان بالجميل لمن أنقذه . أما وقد خلص المسيح المؤمن من الدينونة الرهيبة فهناك شعور الفرح بالنجاة وشعور الحب لذاك الذى تفضل فخلصه خلاصاً أبدياً .

وهذا الحب المبارك هو السر الذى يجعل الشاب المتجدد يترك المسرات العالمية التى كان يحبها من كل قلبه لأنه لم يعد يجد فيها لذته وسروره ، إذ أصبحت لذته الجديدة وسروره الجديد فى شخص المسيح . يظن أصدقاؤه القدامى أن سر ابتعاده عن المسرات الماضية وهجرانه لحليات الرقص وانفصاله عن أصدقاء الشر وأماكن اللهو ، كل هذا يرجع لخوفه من الجحيم ، أو محبته فى أن يظهر بمظهر المتدين ، ولم يعلموا أن المسيح قد سبى قلبه تماماً حتى لم يعد يتلذذ إلا به ولا يجد سروره إلا فى شخصه . لقد ترك عادة الشرب من مواخير الشر لأنه الآن يشرب من نهر القداسة الذى يبهج النفس .

قيل أنه كان يوجد خندق عميق حول أسوار مدينة بابل القديمة ، وقيل أيضاً أنه عندما يفتح هذا الخندق كان يبتلع كل مياه نهر الفرات الكبير ويتركه قناة جافة . هكذا محبة المسيح التى تملأ النفس اكتفاء وشبعاً من الحب السماوى وتمتص كل مياه المسرات العالمية والافراح الكاذبة .

لذلك عندما أجد عند أحد المؤمنين ميلاً الى أمر مشكوك فى قداسته ،

وعندما أسمعه يستفسر مثلاً عن المراقص والسينما والدخان وعن الاضرار التى فيها ، وعما إذا كان فى إمكانه أن يرتاد هذه الاماكن، أو يمارس هذه العادات ، أحزن فى قلبى لانها علامة من علامات ضعف الشركة وعدم المحبة الكاملة للمسيح ، إذ لو كانت محبة المسيح فى القلب لما تجاسر المؤمن أن يسأل مثل هذه الاسئلة التى تعتبر محاولة لإقناع ضميره وهى فى الوقت نفسه لا تدل على أن النفس قد شبعت من خبز الحياة فعادت تطلب شبعها فيما لا يشبع .

يا أخى لقد حذرك الرب من هذه الامور ليس من جهة الرجوع اليها فقط بل حتى من مجرد النظر الى الوراء والالتفات اليها . والحقيقة أن محبتك لفاديك ابتدأت تفتر وأصبح قلبك بارداً كالثلج ، ونصيحتى اليك أن تحمل هذا القلب البارد الى شخص المسيح من جديد ، ولا تطمئن حتى تراه يشعله بلهيب الحب المقدس فتصرخ اليه مرة أخرى « ربى وإلهى ».

ثالثاً : الرغبة فى خلاص الخطاة

الرغبة الملحة فى خلاص الهالكين، علامة هامة من علامات الخليقة الجديدة . تصور أن شخصاً غريباً زارك اليوم فى منزلك ، مظهره بسيط من كل وجه وعلى محياه علامات الرقة والخير ، لكن مسحة من الحزن المقدس تبدو على وجهه كأن ذكريات قديمة تمر بمخيلته وهو ينظر اليك . إسمع ! انه يتكلم الآن وحديثه يلهب قلبك ويرفع أفكارك من العالم الى السماء ، فكأنك تستمع الى أصداء السماء فى حديثه، لا تندهش ولا تفكر فى شخصية هذا الزائر الغريب المبارك فأنت الآن فى محضر مخلصك وفاديك . إنه يظهر

لك جروحه لتتأكد من شخصيته ، وبعدها يسألك نفس السؤال الذى وجهه الى بطرس «أتحبنى ؟»، ويشفع هذا السؤال بنفس النظرة التى حطمت قلب بطرس ، فينتابك ألم داخلى وتجيبه باضطراب : يا مخلصى القدير أنت تعرف أنى أحبك .

عندئذ يذكرك بأولئك الذين يموتون حولك فى خطاياهم، ويعرفك أنه سفك دمه الثمين لأجلهم، وأن شوقه المبارك هو لخلاصهم من شرورهم، ويطالبك أن تظهر دليلاً على حبك له وذلك بسعيك اليهم لتحدثهم عن قصة محبته وتدعوهم بالحاح أن يهربوا من الغضب الآتى .

أيها المؤمنون ، ان يسوع يتحدث اليكم كل يوم ويذكركم بالهالكين وكيف أنهم يعيشون معكم فى نفس المنازل ، ويأكلون معكم نفس الخبز ويختلطون بكم فى كل يوم فى الحياة العملية، ان كنتم تحبون الرب فإنكم تقدرون قيمة نفوسهم، وسواء أردتم أم لم تريدوا فأنتم مسئولون عن هلاكهم فحاولوا أن تخطفوهم من النار وتنقذوهم من الهلاك الأبدى.

الفصل الحادى عشر

عاملون مع الله

من الأمور التى تدعو للراحة والشبع القلبى أن غرض المسيح ومقاصده على الارض لا بد أن تتحقق وأن حقه الكامل لا بد أن يخرج الى النصرة ، وطالما لمعت الشمس وطالما يعطى القمر ضوءه ويرسل أشعته الذهبية الى العالم، سيظل اسم يسوع يهز قلوب البشر بحب قلبه العجيب .

إن سيدنا الذى نخدمه يؤسس هيكلاً روحياً على الصخر وأبواب الجحيم لن تقوى عليه . وبينما تقوم الإمبراطوريات وتسقط ، وفى وسط اضطهادات الجماعات المعاندة لهذا الطريق ، وبالرغم أيضاً من مكايد المؤامرات السياسية وكبرياء المجدفين ، سيظل ذلك البناء الروحى فى الازدياد والقوة حتى يوضع فيه الحجر النهائى وسط هتافات الغلبة والنصرة .

كيف يبني عمل المسيح ويتكامل؟

السؤال الآن هو : كيف تتم مقاصد الله فى استكمال الكنيسة ونصرة الحق الإلهى ؟ انه بالتأكيد ليس بسياسة كسب الوقت ، ولا بروح عدم القداسة بين جماعة الرب ، ولا بكتمان حق كلمة الله العظيم الذى جاهد لأجله

القديسون حتى الموت ، ولا عن طريق تفتيت كلمة الله الى أجزاء واعتبار بعضها أساسي والبعض الآخر غير أساسي ، أو تسمية بعضها هام والبعض الآخر غير هام .

كلا ، إن الحق ينتصر بعكس ذلك تماماً ، أعني عن طريق روح الخضوع بوقار كامل أمام مشيئة الله المعلنة فى كتابه واعتبار كل جزء في المكتوب قوة وحياة ، وذلك بواسطة روح الله الذى يحيي جسد المسيح كجماعة متحدة بغض النظر عن الأسماء التى سموا بها ، أو الطوائف التى انتموا اليها، بواسطة روح البكاء والألم على عالم هالك والالتصاق بتصميم كامل بشريعة الله حتى اننا نفضل الموت ألف مرة من أن نسلم فى جزء يسير من الحق الإلهى فى المسيح يسوع .

وهذا نفسه هو روح رئيس ايماننا ، وهو أيضاً الروح الذى عمل فى القديسين فى كل العصور . انه الشاهد الأمين المبارك لمجد الله .

اللطف المسيحي

ما اكثر ما يقال اليوم عن اللطف المسيحي وضرورته فى تعاملنا مع أهل العالم ،ولا سيما مع الذين يخالفوننا فى الرأى . ونحن بدورنا نعتبر اللطف المسيحى أمراً هاماً ، ذلك اللطف النابع من المحبة المسيحية وهى أول وأسمى الفضائل جميعاً وبدونها يعتبر كل اختبار مسيحى مجرد إدعاء أجوف ولاشك.

ولكن يبدو أن البعض يفهم اللطف المسيحى أو المحبة المسيحية فهماً خاطئاً لا أثر للطف ولا للمحبة فيه . إذ يظنون أن المحبة المسيحية إن هى إلا

التساهل فى المبادىء الحية طبقاً لمقتضيات الحال وهذا افتراء . إن المحبة المسيحية الحقيقية وليدة السماء بينما محبة أولئك محبة كاذبة وليدة الارض . المحبة الحقيقية تفرح بالحق ، أما تلك فتضحى بالحق اذا دعت الضرورة . المحبة المسيحية الحقيقية يبغضها العالم بينما المحبة الكاذبة يقرها الخطاة ويهتف لها الأشرار . المحبة الحقيقية تفكر فيما هو حق وتترك النتائج لله ، بينما المحبة الكاذبة تفكر أولاً فى النتائج وتترك الحق ليسير تبعاً للظروف . المحبة الحقيقية تفرح بالحق وتلتصق به بدلا من أن تسير فى ركاب ما هو شائع ، وهى لا ترهب صيحات المتعصبين من الجهلاء ، إذ تعترف بالإيمان المسلم مرة للقديسين ، وهى تخشى الرب ولا تعرف خوفاً آخر .

هذه هى المحبة الحقيقية واللطف المسيحى الحقيقى وعلاقتهما بالحق الالهى . فيا أخى أطلب اليك بنعمة الله أن تحفظ ثقتك كاملة غير متزعزعة فى قوة الحق . ان الحق فى يد إلهنا العظيم قوة عظيمة للغاية . قد تقيده قوانين البشر أو يحبسونه أو يدفنونه وسط الأخطاء أو فى مقبرة الباطل ، ولكنه سريعاً ما ينفض عنه القيود ويقوم من جديد وتكون له فرصة للعمل نشيطاً لا يعرف الكسل ، حياً لا يعرف الموت ، يطرد بنوره كل ظلام ويتغلب على كل أمر يحاول أن يفقده تأثيره وطبيعته المقدسة .

قد يعم الضلال والخطأ ويبدو أن الباطل قد انتصر على الحق ، لكن النتيجة النهائية انه لا شىء يعادل قوة الحق أبداً ، وأنه لا بد أن ينتصر . وكما نتحدث عن قوة الضوء النفاذة التى تصل الى كل مكان ، نتحدث عن الحق الذى ينفذ الى كل مكان .

توجـــد بعض الأماكن كالسجون مثلاً التي تكون تحت الارض لا ترى النور ، فهل معنى ذلك أنه لا يوجـد نور ؟ كلا بالطبع . وعندما نغلق الأبواب والنوافذ في منازلنا فنمنع الضوء والنور من الدخول ، هل معنى ذلك ان النور قد فقد قوته وأن الظلام أقوى من النور ؟ كلا . هكذا أيضاً حق الله .

أخشى أن يوجد بين المؤمنين اليوم من ضعفت ثقتهم في قوة الحق ، أو بمعنى آخر تشككوا في سلطان الله فصـــاروا يعملون حساباً لنقد الناس أكثر من رضى الله ، فاذا تكلموا لا ينطقون بعبارة واحـــدة ضد الأخطاء الشائعة إلا بعد أن يقيسوا هذه العبارة ويتأكدوا من النتائج المترتبة عليهـا بحيث لا توقعهم تحت لوم البشر ؟ لمـاذا يخشى المؤمنون نتائج التكلم بالحق بهذه الصورة ؟ ألا يدل ذلك على عدم ثقتهم بإلههم ؟ آه ليتنا كنا مثل نوح أو دانيال أو بولس نؤدي واجبنا ونترك النتائج لإلهنـا .

لماذا لا نثق في أمانة الله ؟ ولماذا نتصرف كأن إلهنا لم يعـد يميز بين الحق والباطل؟ ولماذا نتصرف كأناس مستعدين أن يتخلوا عن الحق والقداسة التي أعلن الله أنه سيحفظهما ؟ ولماذا نتصرف أيضاً كأن إلهنا تعـــود ألا يحفظ كلمته؟

أيها القارىء ، صلاتي لأجلك أن تكون جريئاً في الحق وليعطك الرب نصيباً مضاعفاً من روح القوة حتى متى هبت عواصف الاعتراضات والمقاومة وابتدأت أسود الشر تزأر من حولك ، ترى قوة الله تساندك لـكي لا ترهب إنساناً .

اسطفانوس شهيد الحق

إذا أردنا صورة حية عن التمسك بالحق رغم كل الظروف بغض النظر عن أبشع أنواع الاضطهاد نراها ممثلة فى الشهيد المسيحى الأول اسطفانوس. فقبل أن يطلب الغفران لأعدائه ويرقد، رأى السماء مفتوحة وابن الانسان قائم عن يمين الله، مع أن يسوع بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس عن يمين العظمة فى الأعالى (عب ١: ٣)

إن السبب الذى لأجله وقف يسوع، هو رؤيته لاسطفانوس يدافع عن الحق بدون خوف من رجال الدماء. وقف سيدنا ليستقبل خادمه بنفسه، إذ اشتاقت أحشاؤه أن تضم اسطفانوس الحبيب الجرىء. ما أمجد هذا المنظر! إذن فليتهلل اسطفانوس بالروح عند رؤيته الكلى القدرة ينظر اليه فى لطف ويستقبله بابتسام لأنه أدى واجبه من جهة إعلان الحق، وهو الآن فى السماء يضرب على أوتار القيثارة السماوية أغانى الخلود ولا يقدر أحد أن يمنعه من التهلل بإلهه كما لا يقدر أحد ان يحول دون تتويج جبينه بأكاليل المجد والحياة.

ما الذى يمنعك أيها القارىء من نفس المصير المبارك فى الاشتراك مع جنود السماء إلا أنك لا تمجد إلهك ولا تتحدث عنه كثيراً لخوفك من البشر؟ وألا يستحق الخروف المذبوح أن تمجده وتعظمه! دعنا الآن نرفع أصواتنا اكثر لمجد فادينا لان أولئك الذين يعملون بأكثر قوة لأجل يسوع الآن سوف لا يستحى بهم فى مجيئه بل سيلمعون كالكواكب المضيئة فى سماء المجد.

وبينما تسير الرذيلة فى شجاعة وتحكم على البشر بقوة ، ليت المؤمنين يتحدثون عن حق المسيح ويعرفون الناس به لا فى السر بل فى الجهر وفى وضح النهار، وليس عن طريق الهمس بل باصوات مرتفعة قوية تقنع الخطاة أنهم هالكون ولا خلاص لهم إلا فى المسيح .

لقد مرت أوقات على جماعة المفديين، كانوا يستيقظون فيها قبل شروق الشمس ويسبحون إلههم فى شجاعة ثم يقضون باقى يومهم فى العمل لأجله ، لان العمل مع المسيح ولاجل المسيح كان حياتهم و كل شىء بالنسبة لهم ولكن رئيس هذا العالم الذى لا يحب أمور الله ، أهاج عليهم عاصفة من الاضطهاد ، ومع ذلك فقد ظلوا يعبدون إلههم فى مغاير وشقوق الارض .

إن الشيطان لا يحتمل رؤية المؤمن العــامل للمسيح لذلك يهيج عليه الاشرار حتى يعرقل مساعيه نحو خــلاص النفوس ، ولا سيما اذا كان ذلك المؤمن من النوع المصلى وله شركة سرية مع إلهه ، ومتى اتحدت الصــلاة بالخدمة كانت الخدمة أقوى من أى قوة على الارض، لان إلهنا لا يقبل الخدمة إلا اذا كانت خدمة أمينة مشفوعة بالصلاة ، وعندما لا يكون العمل الروحى مشفوعاً بالصلاة لا يكون هناك ثمر لمجد الله ، اتكن خدمتنا إذن مقرونة بالصلاة ، فكلما زادت صلواتنا كلما زاد اندفاعنا للحق وغيرتنا على مجد الله .

خدمة ومكافأة

قد وعدنا إلهنا بالمكافأة اذا كنا نعمل لمجد اسمه ، واذا لم نكتف بأن

بان نتمتع بكأس الحياة وحدنا بل قدمناها للآخرين ايضاً . انه على استعداد أن يقدم المكافأة التى تتناسب مع نشاط أولئك الذين صار لهم شرف العمل والتعاون معه فى اقناع الآخرين أن يشتركوا معهم فى ارتشاف كأس الخلاص.

يا أخى ، لا شك فى أنك لا ترغب فى أن يأتى عليك دم اولئك الهالكين فى اليوم العظيم عند ظهور الفادى . لذلك كن أميناً فى تقديم المخلص لكل الذين يقعون فى دائرة تأثيرك . إن امتياز حمل البشارة والتحدث عن الصليب والتوسط بين غضب الله الابدى والنفوس الهالكة فى اندفاعها الى الهلاك ، ومطالبتهم بان يتصالحوا مع الله هو فى الواقع أهم عمل يقـــدر أن يقوم به انسان بالنسبة للعالم.

هذه الكلمات ليست موجهة للرعاة أو القسوس فقط، لان السيد نفسه يقول «مَن يسمع فليقل تعال». فكل مَن يحب مجىء الفـادى يشترك فى هذه الخدمة المباركة . ان النفوس التى نتعامل معها كل يوم ليست مخلوقات يومها ولن تنتهى بانتهـاء الحيـاة الارضية عندما يفارقها نور عينها بالموت، ولن تنتهى الامور بالنسبة لها ايضاً عندما تصل الى حدود الابدية وإلا كان لنا بعض العذر فى عدم المبالاة بها . ولـكنها سوف تحيا بحيـاة الله وتوجد بوجوده إما فى نعيم لا ينطق به أو فى حزن لا يمكن تصوره .

والخطاة الآن يعيشون فى ضوء الكلمة التى تقرر أنه لا توجد هناك فى الابدية حالة حياد . فإما أن تكون لهم الكلمة رائحة حيـاة لحياة، أو رائحة موت لموت ، وعلى عاتق المؤمن تقع مسئولية خلاصهم أو هلاكهم ، والرب

يسوع بنفسه هو الذى يضع عليه هـذه المسئولية العظمى . انها مسئولية تهتز تحتها ملائكة السماء، ولو أن الله وضعها على المؤمن دون أن يعينه على تأديتها لوقعت عليه كالحمل الثقيل ، ولـكن شكراً لله لان الذى يعطى المسئولية يهب فى نفس الوقت القوة لإتمامها .

وهنـاك أمر آخر ، اذ يجب أن ندرك أن الله لا يطلب من المؤمن إلا مجرد التحدث عن الحق الالهى بأمانة ، وهو لا يطلب منه نجـاحاً فى مهمته الخطيرة لان النجاح عمل من أعمـــال الله شخصياً . قد يستهزىء الخاطىء بالرسالة وقد يلقيها وراء ظهره فى عدم مبالاة ، ولـكن اذا حـذره بدموع فسوف يخلى نفسه من اللوم فى يوم الرب ، أما اذا أهمل تحـذيره فالمسئولية تقع عليه .

أيها الآباء لا تستسلموا للـكسل والنوم الروحى . لا تهمـلوا أرواح أولادكم وهم يغرقون فى بحيرة النـار والـكبريت . اذا مرضوا بأجسـادهم أسرعتم الى الأطبـاء والدواء حتى يشفوا ، فلا تنسوا من فضلـكم مرض الروح واطلبوا لأجلهم الطبيب الأعظم . اعملوا مع المسيح لأجل خلاصهم وتجديدهم .

الفصـــل الثانى عشر

وليمة الانجيل

أيها العزيز لقد قدمت لك فى الفصول السابقة رجاء الأمم شخص الرب يسوع المبارك . والآن أريد أن أضع أمامك وليمة محبـــة الله العظمى وأقدم لك الدعوة فى إلحاح حتى يكون لك فيها نصيب،حينئذ تتذوق وتختبر كم أن الرب صالح . أما مسألة قبولك أو رفضك لهذه الدعوة فهو موضوع اهتمامى كما هو موضوع اهتمام الرب ، لأن مستقبلك الأبدى يتعلق بقرارك فى هذا الأمر .

ولـكى أحدثك عن وليمة الإنجيل أضع أمامك فى وقار المثل الذى تحدث عنه ربنا المبارك ، وهو مثل وليمة العرس العظيم والشخص الذى لم يكن عليه لباس العرس المذكور فى الاصحاح الثانى والعشرين من انجيل متى إذ يقول الـكتاب « فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك إنساناً لم يكن لابساً لباس العرس فقال له يا صـــاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس فسكت » (مت ٢٢:١١،١٢) .

فى هذا المثل يرسم السيد صورة واضحة لتعامله مع البشر فى كلا العهدين القديم والجديد . ملك عظيم يعد وليمة بمناسبة عرس ابنه و يقدم الدعوة إلى

مجموعة من الضيوف مشفوعة بهذه العبارة « كل شيء قد أعد » ، ولـكنهم جميعاً قابلوا دعوته بالازدراء وذهبوا كل واحد فى طريقه ، هذا إلى مزرعته ، وذاك إلى تجارته ، بينما البعض أمسكوا عبيد الملك وقتلوهم. إزاء هذا التصرف المزرى والتنكر للجميل اشتعل غضب الملك فأرسل جنوده وأهلك أولئك الرافضين وأحرق مدينتهم، ولكون المدعوين ليسوا أهلاً للدعوة هل يترك الملك العرس بدون مدعوين ؟ كلا ، لـكن الملك أرسل عبيده للمرة الثانية بدعوة عامة وأمرهم أن يذهبوا إلى مفارق الطرق ويقدموا الدعـــوة حرة للجميع حتى يمتلىء العرس . وهكذا فعلوا وامتلأ المـكان ودخـــل الملك ليتفقد المدعوين فرأى من بينهم إنساناً واحداً ليس عليه ثياب العرس فسأله عن سر تصرفه الشــاذ ولـكنه سكت إذ لم يكن له جواب . فأمر الملك أن يربط من يديه ورجليه ويطرح فى الظلمة الخارجية .

من هذا المثل نفهم قصد الله بوضـــوح . لقد اختار اليهود فى بادىء الامر وجعلهم شعباً خاصـــاً وميزهم عن باقى الشعوب حولهم بالوحى الإلهى المقدس وأرسل لهم عدداً كبيراً من الأنبياء والقديسين حاملين دعوته لوليمة محبته ، لـكن كثيرين ممن حمـلوا رسالة يهوه ودعوة الله عوملوا من اليهود معاملة قاسية فالبعض منهم قتل والاخر نشر... الخ. أخيراً جاء المخلص بنفسه يحمل نفس الدعوة إلى وليمة الانجيل ولـكنه عومل معاملة أشد قساوة مع أنه أظهر أناته وزحمته حتى النهاية وأخيراً رفعوه على الصليب وأماتوه موت اللعنة والعار . ومع كل هذا لم ييـــأس السيد لـكنه حتى بعد الصليب ، وبعدما

كملت عملية الفداء أمر تلاميذه أن يحملوا الدعوة عينها مبتدئين من أورشليم العاصمة العاصية . ياللعجب أمن أورشليم يبدأون ؟ من المكان الذى صلب فيه والى القوم الذين اشتركوا فى صلبه ؟ نعم إلى الذين سمروه وتخضبت أياديهم بدمه الكريم . لقد وجهت الدعوة فى كل محبة واخلاص ، الابن الذى رفضوه لا يزال يوجه اليهم الدعوة على فم خدامه الذين تعالت أصواتهم بالبشارة تملأ شوارع أورشليم ، لكن النتيجة أنهم أعرضوا عن دعوة الله ورفضوها باصرار بل لقد جن جنونهم عندما سمعوها لأنها أدانتهم وأظهرت شر أعمالهم .

وأخيراً امتلأ كأس شرورهم واشتعل ضدهم غضب الملك العظيم فأرسل من انتقم منهم وأحرق مدينتهم الجميلة بالنار وزيد لهم كيل الغضب بقدر شرورهم فأفنت المجاعة عدداً كبيراً منهم ، وعدد آخر مات قتلاً . والبقية الباقية بعد ذلك تشردت . فلا مسكن ولا وطن ، وانتشرت فى كل بقعة من بقاع الأرض .

على أن الملك العظيم لم يترك وليمته بدون مدعوين . فذهب عبيده إلى مفارق الطرق بدعوة لا إلى اليهود فقط بل لكل أمة من الناس يسكنون على وجه الأرض .

المراءون في الكنيسة

لكن ماذا عن الذى ليس عليه ثياب العرس ؟

إنه يشير إلى الكثيرين ممن ينضمون إلى كنيسة المسيح المنظورة من

غير المؤمنين بالحق ، أى الذين ليس عليهم ثوب بر الفادى . ومع أنهم قد ينجحون فى خداع الناس لكنهم لا يقدرون ان يخدعوا الله لان عينه ترى خفاياهم . قد يصل الخداع بهؤلاء أن يخدعوا أنفسهم فيظنون أن وجودهم فى الكنيسة هو نفسه الوجود فى المسيح .

يا للأسف ، كثيرون الان فى مكان العذاب والابدية التعيسة مع أنهم كانوا يظنون أن وجودهم فى الكنيسة هو كل شيء . كانوا يستمعون إلى رسائل الله بكل اهتمام كما حاولوا أن يبطلوا ارتكاب بعض الخطايا الظاهرة واهتموا إلى حد ما بالامور الروحية وتشجع بهم الخدام وتحدثوا عنهم كمؤمنين ومن الجائز أنهم ارتفعوا الى مراكز قيادية بين الجماعة الى أن سمح الرب أن تدخل الكنيسة فى بعض الظروف الصعبة وبذلك ظهر عنصرهم الاصلى وطبيعتهم الاصلية وتبين أنهم لا يمتون الى المسيح أو الى الايمان بصلة .

اذا وقفت على قمة جبل عالٍ وتطلعت الى غابة ما فى وقت الخضرة فى فصل الصيف لا يمكنك أن تميز بين الاشجار الخضراء والجافة وذلك لان العنصر الاخضر يغلب على الغابة ويكسوها بثوب سندس جميل ، ولكن عندما يحل الشتاء بأعاصيره وينتهى موسم الخضرة يمكنك أن تميز بين الاشجار الخضراء والاشجار الجافة بكل سهولة . هكذا الحال بالنسبة للكنيسة اذ عندما تكون الظروف طيبة والخادم المحبوب يملأ المنبر ويشبع القلوب بعظاته وتوجيهاته ، والجموع تملأ مكان العبادة وعدد كبير

من الناس ينضم الى الـكنيسة والامور المالية تسير على ما يرام حينئذ يختلط علينا الامر ولا يمكننا التمييز بين المؤمن الحقيقى والمؤمن المرائى . أما اذا جاء وقت الغربلة وتغيرت الاحوال بالنسبة للـكنيسة فنقل الخادم المحبوب مثلاً ودب الخلاف بين الجماعة أو جاءت صعاب مالية وابتدأ الضغط على المـكان الحساس — الجيب ، حينئـــذ يظهر كل واحـــد على حقيقته فالمؤمنون الحقيقيون يظلون الى جانب الـكنيسة فى اهتمام مضاعف ومحبة أعمق وغيرة أكثر وكلما زادت المتاعب زادت محبتهم وغـــــيرتهم للرب كالشجرة « المغروسة على مجارى الميـــاه التى تعطى ثمرها فى حينه وورقها لا يذبل » (مز ١ :٣) .

لا بد أن يأتى وقت الامتحان إن عاجلاً أو آجلاً ، لان ذلك جزء من برنامج الله فى حياتنا ، وتحت الغربلة الشديدة قد تتحطم آمال الـكثيرين ويذهب تعب السنين ، وبعض ممن كانوا يظهرون كأعمدة فى الـكنيسة يتداعون فيثبتون أنهم كانوا أعمدة تالفة متآكلة مدهونة من الخارج بطبقة جميلة من الطلاء أما رجال الله الحقيقيون فسوف يقفون على أقدامهم فى ثبات أمام كل تيار ولن تؤثر فيهم أشد أنواع التجارب إلا بمقدار ما تؤثر أجنحة الفراشة فى حجر من أحجار الجرانيت الشديدة الصلابة .

أيها المؤمن المخدوع ، عندما أتصور قيمة نفسك الخالدة والعذاب الشديد الذى ينتظرك والوسائل المباركة لخلاصك التى قاومتها والقساوة الفكرية التى تملـكت على قلبك ، أراك واقفاً على شفا حفرة سوف تدفعك خطاياك فيها إلى الأعماق ، ولما أتصور هذا المنظر أحاول أن أدفعـــك من هناك حتى

لا تلاقى المصير المشئوم ، ولـكن كيف أستطيع أن أدفعــك و بأى سلطان أستطيع أن أفعــل ذلك ؟ لو اجتمع كل الاصدقاء وكل الخدام لا يقدرون بقوتهم أن يدفعوك إلى الخلف بعيداً عن الدمار بل كل الجيوش والقوات الأرضية وكل سلطة أخرى لا تقدر أن تفعل ذلك لأنه ليس دفعــاً جسدياً يحتاج إلى قوة مادية ولـكنها دفعات المحبة الرقيقة ، الدفعات المقدسة لمحبــة المسيح هى التى تقدر أن تفعل ذلك وهى التى تجــذبك بر بطها بعيداً عن الخطر .

الايمان الواحد

كان الاتهام الوحيد الذى وجه لذلك الإنسان التعس هو عدم امتلاكه لثوب العرس . وهنــا ندرك أهمية ثوب بر المسيح . إن الملك لم يستعرض أمامه حيــاة ذلك الإنسان فى ماضيه ، وسواء كان خاطئاً كبيراً أو خاطئاً صغيراً ، وعما إذا كانت له أخلاق عالية أو كان من حثالة المجتمع ، كلا ، بل الأمر الوحيد الذى اهتم به الملك هو أنه لم يكن لابساً لباس العرس .

وحتى نفهم ذلك جيداً يجب أن نعرف أنه كان من عادة اليهود قديماً فى الولائم والأفراح أن يقدموا لـكل ضيف حلة مناسبة ، ولم تـكن العادة أن يحضر الضيف معه ثوباً خاصــاً ، ولم يكن يطلب منه ذلك وإلا لـكان لأولئك الذين حضروا العرس من مفارق الطرق عــذرهم إذ لم تـكن لهم فرصة للحصــول على ثوب مناسب للعرس وهذا هو سبب سكوت ذلك الرجل إذ لم يكن له عذر يقدمه . والملك بدوره كان يعرف أن الرجل نفسه مسئول عن هذا الخطأ لان الثوب قدم له ولـكنه رفض أن يلبسه .

هكذا الحال معنا من جهة وليمة الإنجيل إذ ليس مطلوباً منا أن نلبس ثيابنا الخاصة لنظهر بها أمام الله ولكن المطلوب أن نلبس لباس البر الذى قدم لنا فى المسيح، فاذا ظهرنا فى بيت العرس بملابس برنا الذاتى الممزقة وأسمال خطايانا لن يكون لدينا عذر واحد لنقدمه ونبرر به تصرفنا الشاذ وعندئذ يغطينا الخجل والخزى الأبدى .

وفى هذا رد على أولئك الذين يرفضون أن يأتوا إلى المسيح حتى تتحسن حالتهم لأن الواقع والحق يثبتان أنهم لن يستطيعوا أن يكونوا أفضل مما هم عليه الآن ، ولأن الله لم يطلب منهم ذلك وإلا كان ذلك موافقة منه على ثوب البر الذاتى دون بر المسيح . إن الكتاب المقدس لم يقل « إذا تحسنت حالتنا لنا سلام مع الله » بل « إذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح » . إذاً فليس الارتياح الشخصى أو الاقتناع بالبر الذاتى هو الذى يعطينا السلام بل الايمان ببر المسيح وشخصه .

أيها القارىء العزيز إذا لم توجد فى ذلك اليوم العظيم لابساً بر المسيح فلن تقدر أن تبرر موقفك فتقول مثلاً : لم تكن لدى فرصة لأفعل ذلك. لانك ستعرف حينئذ والملائكة والبشر سيعرفون أيضاً أن الثوب قدم لك مرات عديدة ولكنك لم تقبله . لقد حثك الروح القدس على ذلك كما حثك الكتاب المقدس وقدم لك الثوب عن طريق الوعاظ ورجال الله وعن طريق أصدقائك المؤمنين ، وعن طريق ضميرك الذى وبخك على تقصيرك واهمالك لهذا الأمر ولكن كل هذا بلا جدوى !

أيتها النفس المسكينة هل تصممين على الغرق فى دوامة غضب الله بينما

قارب الحياة والخلاص قريب منك ، إن النتيجة الحتمية لهذا الجهالة هو عندما تهتز أساسات الأرض وتطوى السماوات وتسقط الكواكب محترقة ويحترق العالم والمصنوعات التى فيه ، حينئذ سوف تدانين غباءك وجنونك لرفضك ثوب بر المسيح الطاهر المقدم لك !

لماذا يا أخى لا تقبل الآن وأنت تركز عينيك على هذه الكلمات وتلقى خطاياك بجملتها على الرب يسوع ! لقد كفر عن خطايا كل جنس ولون من البشر ، كما كفر عن الخطايا التى ارتكبت ضد شريعة الله ، وعن خطايا السر والجهر ، وعن خطايا الشباب والرجولة والشيخوخة . لقد كفر عن كل خطية حتى الخطايا التى يصعب حصرها أو وصفها لكثرتها وشدتها ، الخطايا السوداء المظلمة كظلام الجحيم والخطايا التى طال عليها الزمن حتى نسيها أصحابها ، كلها وضعت على حمل الله وكفر عنها تكفيراً كاملاً فلماذا تتوانى ؟

بمجرد أن تأتى إلى الصليب تزول عنك آثامك وتزول عنك مخاوف هذه الآثام أيضاً ، وسوف تفرح وتبتهج إذ تصبح ضمن جموع المغتسلين بالدم ، الذين جمعوا من مفارق طرق العالم ، ثم تجلس فى وليمة عشاء عرس الخروف .

أنت بلا عذر

واضح من مثل العرس أن الرجل الذى طرح خارجاً كان يعوزه شىء واحد فقط. فلم يكن ضده (كتالوج) كبير من الخطايا والنقصات لكنه دين

لعدم امتلاكه لذلك الشيء الواحد وهو الإيمان بالمسيح لأنه عن طريق الايمان لا نأتى إلى دينونة .

عدم الايمان هو خطية الخطايا . إنه الخطية التى تملأ الجحيم بالضحايا وتسلب النفس سعادتها وسرورها الأبدى ، أما الايمان فهو الذى يضمن للنفس ثوب بر المسيح ويؤكد لها قبولها فى سماء قداسة الله .

ان الشيء الملفت للنظر هو تصرف الرجل الذى لم يكن لابساً ثوب العرس اذ لم يقدم أعذاراً ولم يبد احتجاجات بل ظل ساكتاً. هذا أمر رهيب. ان سكوته أرهب بكثير من كونه ينطق بكلمات قاسية ويائسة . ان غباءه وحيرته جعلا لسانه يلتصق بحنكه بحيث أن سكوته كان أقوى تأثيراً من الكلام . ان الأشرار سوف يركضون باندفاع غريب ويطلبون الصخور لتسقط عليهم والجبال لتغطيهم من وجه الجالس على العرش .

قد يبدى الخطاة فى الوقت الحاضر أعذاراً يبررون بها خطاياهم ، وقد يجدون الكلمات التى يحاولون بها اقناع الناس لكى لا يدخلوا ضمن دائرة نعمة الله ، ولما نتحدث معهم عن قبول عطية الله يدخلون معنا فى مناقشات عقيمة عن عدم ثبات المؤمنين واهتماماتهم العالمية وعن التجارب التى تواجه أولاد الله وعن غموض كلمة الله وغير ذلك من الاعتذارات الواهية ، لكنهم حينما يقفون أمام الله ويرون عينه تنظر اليهم وتفحصهم سوف تستد أفواههم فلا ينطقون .

لعل سبب سكوتهم معرفتهم أن الله لا يقبل أعذاراً واهية مثل هذه ، بل حتى الآن وقبل أن يواجهوا الله يدركون فى أعماق نفوسهم انه ليست

لهم أعذار معقولة لعدم قبولهم بر المسيح . أما فى الأبدية فسوف تتقد الذاكرة وتقوى بشكل مرعب إذ تذكرهم بكل الفرص التى قدمت لهم وكل تحذير وجه اليهم وكل عظة أصغوا اليها وكل يوم من أيام الرب أهانوه ، وتستعرض أمام عيونهم كل فرصة تعامل معهم فيها الروح القدس ، وكل حادث مزعج أزعجهم ونبههم من عدم مبالاتهم ، وسوف يتذكرون كل الأقسام والوعود والتصميمات التى تراجعوا عنها ، كل هذه مع جميع حوادث الحيـاة سوف ترسم أمامهم وتعقد ألسنتهم فيقفون فى سكوت .

نعم سوف تصبح الذاكرة قوية جداً فى الأبدية بحيث أننا سنتذكر كل كلمة وكل فـكر وكل عمل وكل فرصة مرت بنا بل سيعرض أمامنا تاريخنا الماضى بقوة ودقة . الآن ينسى الخاطى خطاياه حالاً أو يتناساها بعد ارتـكابها مباشرة ولـكن هناك سوف تظهر واضحة ورهيبة جداً . والذين كان لهم آباء أتقياء سوف يتذكرون الدموع والصلوات التى رفعهـــا آباؤهم لأجلهم ، وسيذكرون أيضاً فرص الصلاة العائلية والـكتب الروحية التى وصلت إلى أيديهم . آه كم ستعذبهم ضمائرهم وتلدغهم لدغات قاسية الابدية بطولها !

والشيء المؤلم أن الخطاة سيتذكرون كل هذه الامور بعد فوات الفرصة إذ يكون الوقت متأخراً جداً وسوف يرون جهنم — التى لم يعمـــلوا لها حساباً — حقيقة أكيدة أمام أعينهم .

يوم الخلاص

أيها الخاطىء لا يوجد إلا يوم واحد يمكنك أن تحظى فيه بوليمة الإنجيل

اسمه « يوم الخلاص » ، كما لا توجد إلا طريقة واحدة بها تنال الخلاص وهى الإيمان بالمسيح . لما جاء الطوفان بشدة وغطى سطح الارض لم يوجد إلا فلك واحد للنجاة ، كما لم توجد إلا وسيلة واحدة أمام شعب الله فى القديم للنجاة من الملاك المهلك فى منتصف الليل ألا وهى علامة الدم ، وعندما لدغت الحيات المحرقة الشعب ونشرت الموت فى المحلة لم ترفع إلا حية نحاسية واحدة ذات قوة شافية ، ولم يخرج الماء منعشاً للنفس مطفئاً للظمأ إلا من صخرة واحدة فى البرية ، وفى يوم الكفارة لم تكن تذبح إلا ذبيحة واحدة لتحمل خطايا الشعب . هكذا أيضاً « ليس اسم آخر قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص إلا اسم يسوع المسيح » (أع ٤ : ١٢) ، ولا يوجد إلا أمر واحد يتممه الخاطى الآن لكى يخلص وهو الإيمان بشخصه المبارك . إن يسوع لم يترك لك شيئاً تفعله الا أن تؤمن فقط إيماناً بسيطاً بالعمل الذى أكمله لأجل خلاصك . آمن فقط وكل شىء سيسير سيراً حسناً بالنسبة لنفسك الخالدة، خذ مكانك الآن بوقار أمام الرب لتلبس ثوب بره فهو أثمن وأعظم وأفضل عطايا الله التى يقدمها اليك . إنه أفضل وأعظم من كل كنوز الدنيا .

بركات التمتع بوليمة الانجيل

ما أعظم البركات التى يتمتع بها كل من يحظى بوليمة محبة الله فى الحاضر وفى المستقبل أيضاً . يقول الكتاب « الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو » (١ يو ٣ : ٢)

من هذا يتضح أن أعظم بركة يتمتع بها المؤمن حالياً هى بركة البنوية لله . فالمؤمن الآن ابن لله والصلاة بالنسبة له هى حديث موجه إلى أبيه السماوى وإيمانه يرتاح على هذه المحبة الأبوية وعلى أساس هذه النسبة المباركة يتولد فيه الاشتياق المبارك لقيادة كل تائه ليكون ابناً لله كما هو ، شريكاً له فى هذه البنوية المقدسة ، لأن القلب الذى لمسته محبـــة الرب يحب الآخرين أيضاً .

رأى أحد المثالين قطعة خشنة من الرخام فقال « ما أروع التمثال الذى يكمن فى قطعـــة الرخام هذه ! » ، هكذا أيضاً عندما ينظر المؤمن المحب إلى أكثر الناس انحطاطاً ونجاسة يقدر أن يرى فيه إمكانية خلقه من جـــديد ليكون ابناً لله ووارثاً للسماء . وأن أخشن قطعة من الجنس البشرى يمكن أن تصاغ بواسطة الروح القدس حتى تصبح فى صـــورة المسيح

البنوية لله ما أعظمها . قد يتبنى شخص ما طفـــلاً فقيراً من الشوارع ويضمه الى عائلته ، يغسله ويلبسه ويعلمه ويسمح له بأن يدعوه (يا أبى) ، وقد يوصى له بكل ممتلـكاته ، ولـكن هناك شىء واحد لا يقدر أن يمنحه إياه إذ لا يقدر أن يهبه طبيعته حتى يصبح مشابهاً له ، ولـكن عندما تبنانا الهنا فى عائلة أهل بيت الله بواسطة شخص ربنا يســـوع المسيح استطاع أن يجعلنا شركاء الطبيعة الإلهية فصرنا مشابهين صورة ابنه . قد يعرف الناس عنا أننا أصبحنا للمسيح ولـكن الامر الاهم هو أن روح الفادى نفسه أصبحت تشع من حياتنا وتظهر فى سلوكنا .

ومـــا سيجعل هذه البركة فى السماء بركة عظمى أيضا أن هذا الشبه الالهى سيكون كاملاً هناك ، فلا ميول شريرة ولا عواطف غير مقدسة بل

سنكون بلا شر أو شبه شر وسنقضى الأبدية كلها نغنى ترنيمة الشكر

يا للرجاء المبـــارك رجاء صيرورتنا فى شبه المسيح الكامل! وكم هو جدير أن تسمو هذه الفكرة بحياتنا الآن .

ثم من البركات التى تنتظرنا فى المستقبل أننا سنكون مع الرب كل حين ونتمتع به الى الابد . لقد قرأنا فى الكتاب المقدس عن الاوقات المباركة التى تمتع فيها التلاميذ بحضور الفادى وهم على الارض ، لكن هذه الاوقات لم تدم ! لكن هناك فى الابدية سنحيا معه ويكون تاج سرورنا الدائم ومجدنا الذى لن يتحول . إذا قدرنا أن نتطلع الى الامام ملايين السنين بل ملايين الاجيال فلن يمكننا أن نرى نهاية لسرورنا مع الرب وكل ذلك بواسطة النعمة المجانية وحدها .

نعم كل ذلك عن طريق دعوة الله لك الى وليمة محبته بواسطة الايمان، أما إذا قاومت نعمة الله وأسلمت نفسك لمحبة العالم فلا تتوقع شيئاً مما سمعت عنه الآن بل انتظار دينونة مرعبة وهلاك الناس الفجار .

أتحبني ؟

هذه الوليمة هى وليمة محبة الله ، محبة الله التى أعلنت على الصليب والتى إذ يقبلها القلب ويسير بمقتضاها تصبح قوة عجيبة تكتسح أمامها شرور العالم وتغير ملامح المجتمع حتى أن المتوحشين عندما يسمعون عن هذه المحبة ويقبلونها فانها تغير طباعهم الوحشية. محبة الله تحول الجبان الى شجاع وتجعل الشجاع بطلاً لا يبارى. انها تزيل الهم من الحياة وتجبر القلوب المنكسرة

وتطرد الظلام الذى يخيم على الحياة . محبة الله هى التى تحول العبيد الى أحرار فى المسيح يسوع .

اذا وصلت محبة يسوع المصلوب الى أماكن الرذيلة تحدث هناك تغييراً عجيبا ويتحول وادى عخور الى باب للرجاء. اذا وصلت الى زنزانة مجـــرم تلطخت نفسه بالجرائم فانها تذيب قلبه الحجرى وتحوله الى قديس بنعمة الرب.

أيها القارىء العزيز هل قبلت الدعوة إلى وليمة الانجيل وهل تمتعت بها وأدركت محبة الله ؟ إن أصوات كثيرة تتحد معاً الآن لـكى تفعل ذلك بأوفر سرعة ، فالاب يشير الى ابنه المبارك ويقول لك هذا هو ابنى الوحيد الذى به سررت له اسمع ، والروح القدس يحثك على أن تقبل الفادى لخيرك الأبدى ، وضميرك يرفع الصوت عالياً يدعوك الى الهروب من الغضب الآتى ، وأصوات المحبة من معارفك ومحبيك المؤمنين الذين رحلوا الى الابدية قبلك تناشدك أن تقبل يسوع بالإيمان فتخلص ، إنهم طالما صلوا لأجلك أثنــــاء وجودهم على الأرض وهم الان يكونون سحابة من الشهود تدعوك لأن تقبل الى الفادى . وأنا بدورى أضم صوتى الى هؤلاء جميعاً متوســلاً اليك أن تأتى الى الفادى المعبود رجاء الشعوب وتقرر القرار السعيد . انه أسعد قرار تتخذه فى حياتك .


فتشوا الكتب
رقم ٣٤